

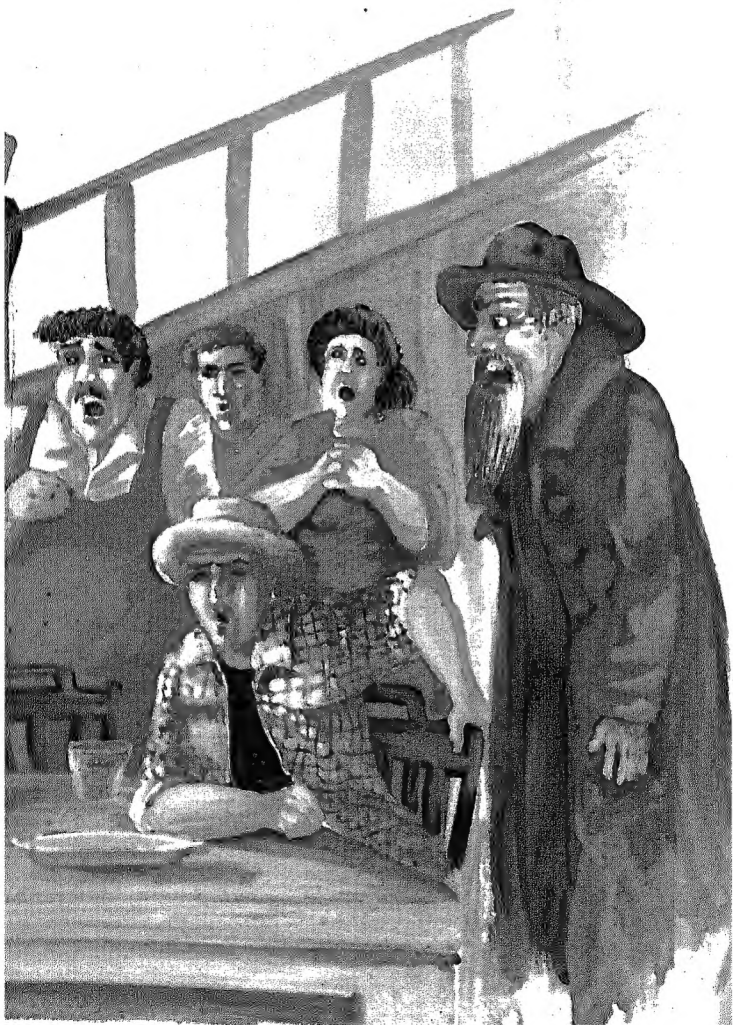
الرَّجُلُ الْخَفِيّ



الروايات المشهورة



الرَّجُلُ الْخَفِيُّ





رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر — لونجمان

١٠ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي — الجيزة

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٨٩

رقم الإيداع : ٢٧٦٢ / ١٩٨٩

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧-١٤٤٦-٢٤-X

طبع بمطابع الأخبار

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ



الروايات المشهورة



تأليف : ه.ج. ويلز

إعداد : صادق راشد

رسوم : حسن عبد الستار

الشركة المصرية العالمية للنشر — لونجمان



الفصل الأول مقدم الرجل الغريب

في ساعة مبكرة من صباح يوم من أيام شهر فبراير الشديدة البرودة جاء الرجل الغريب ، وكانت الريح عاصفة ، والثلج يتساقط بغزارة . وكانت تلك آخر مرة سقط فيها الثلج في ذلك العام .

لقد أتى عبر التل من محطة سكة حديد برامبلهرست ، وفي يده السمكسوة بقفاز سميك حقيبة صغيرة سوداء . وكان متدثرًا من رأسه إلى قدميه ، وكانت حافة قبعته اللينة الرمادية اللون تغطي وجهه كله باستثناء طرف أنفه اللامع ، وقد تراكم الثلج على كتفيه وصدره .

دخل فندق البلدة المسمى " العربّة والجِياذ " ، أدنى إلى الأموات منه إلى الأحياء ، وألقى بحقيبته على الأرض صائحًا : « مَدْفَاةٌ بِحَقِّ الرَّحْمَةِ ! غُرْفَةٌ وَمَدْفَاةٌ ! »

دَقَّ الأرضَ بِقَدَمَيْهِ ، وَنَفَضَ الثَّلْجَ عَنْ مِعْطَفِهِ ، وَسَارَ فِي أَعْقَابِ



السَّيِّدَةُ هُولَ ، صَاحِبَةِ الْفُنْدُقِ ، إِلَى قَاعَةِ الْأَسْتِقبالِ ، وَاتَّفَقَ مَعَهَا عَلَى
أَنْ تُوجِّرَهُ غُرْفَةً ، وَنَقَدَها جُنيْهَيْنِ .

أَشْعَلَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ نَارَ الْمِدْفَأَةِ ، وَتَرَكَتْهُ وَحْدَهُ ، وَمَضَتْ لِتُعِدَّ لَهُ
بِنَفْسِهَا وَجَبَةَ الطَّعامِ : فَإِنَّ ضَيْفًا يَهْبِطُ بِلَذَّةٍ أَيْبَنَغِ فِي الشِّتَاءِ يُعَدُّ ضَرْبَةً
حَظٌّ لَمْ يَسْمَعْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، فَأَعْتَرَمَتْ أَنْ تُبْرِهِنَ لَهُ عَلَى أَنَّهَا أَهْلُ
لِهَذَا الْحَظِّ السَّعِيدِ .

وَضَعَتْ عَلَى النَّارِ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ ، وَطَلَبَتْ إِلَى مِيلِي ، وَصِيفَةِ
الْفُنْدُقِ ، أَنْ تَهَيِّئَ الْغُرْفَةَ لِلْغَرِيبِ . وَذَهَبَتْ بِالْمِفْرَشِ وَالْأُطْبَاقِ
وَالْأَكْوَابِ إِلَى الرُّذْمَةِ ، وَشَرَعَتْ تُعِدُّ الْمَائِدَةَ .

وَرَغِمَ أَنَّ النَّارَ كَانَتْ مُتَقَدَّةً فِي الْمِدْفَأَةِ ، فَقَدْ أَذْهَشَ السَّيِّدَةَ هُولُ
أَنْ تَرَى ضَيْفَهَا مَا زَالَ مُرْتَدِّيًا قُبْعَتَهُ وَمِعْطَفَهُ ، وَكَانَ واقِفًا عِنْدَ النَّافِذَةِ ،
وظَهْرُهُ إِلَيْهَا ، يُحْمِلِقُ إِلَى الثَّلُوجِ الْمُسَاقِطَةِ فِي الْفِنَاءِ .

كَانَ عَاقِدًا - وَرَاءَ ظَهْرِهِ - يَدَيْهِ الْمَكْسُوتَيْنِ بِالْقَفَّازِ ، وَبَدَأَ مُسْتَغْرِقًا
فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ . وَلاَحَظَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ أَنَّ بَعْضَ الثَّلْجِ الذَّايبِ ،
الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ يُغْطِي كَتِفَيْهِ ، يَتَساقَطُ قَطَرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ .
قَالَتْ لَهُ : « هَلْ تَسْمَحُ لِي يَا سَيِّدِي أَنْ أَخْلَعَ عَنْكَ قُبْعَتَكَ



وَمِعْطَفَكَ ، وَأَجْفَفْهُمَا فِي الْمَطْبَخِ ؟

أَجَابَ دُونَ أَنْ يَلْتَقِيَ إِلَيْهَا : « لَا . »

لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّهَا سَمِعَتْهُ ، وَهَمَّتْ بِأَنْ تُعِيدَ عَلَيْهِ سُؤَالَهَا مَرَّةً
أُخْرَى ، فَأَدَارَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهَا قَائِلًا بِحَزْمٍ : « أَوْثِرْ أَلَا أَخْلَعُهَا . »
لَا حَظَّ السَّيِّدَةُ هُوَلُ أَنَّهْ يَلْبَسُ نَظَّارَةَ زُرْقَاءَ كَبِيرَةَ الْحَجْمِ ، وَأَنَّ
لَهُ لِحْيَةً كَثَّةً تَغْطِي يَاقَةَ مِعْطَفِهِ ، وَتَكَادُ تُخْفِي وَجْهَهُ .

قَالَتْ : « كَمَا تَشَاءُ يَا سَيِّدِي . بَعْدَ قَلِيلٍ سَيَزْدَادُ الدَّفْعُ فِي

الْغُرْفَةِ . »

لَمْ يُجِبْ ، وَلَئِنَّمَا أَشَاحَ عَنْهَا بِوَجْهِهِ ثَانِيَةً . وَشَعَرَتْ السَّيِّدَةُ هَوْلَ أَنْ
حَدِيثَهَا غَيْرُ مَرْغُوبٍ فِيهِ ، فَعَجَّلَتْ بِإِعْدَادِ الْمَائِدَةِ ، وَأَسْرَعَتْ تَغَادُرَ
الْغُرْفَةِ .

حِينَ رَجَعَتْ ، كَانَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا مَكَانَهُ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ صَخَرٍ ،
وَكَانَ رَافِعًا يَاقَةَ مِعْطَفِهِ إِلَى أَعْلَى ، أَمَّا حَافَةُ قُبْعِهِ الَّتِي تَقْطُرُ مَاءً فَكَانَتْ
مُرْتَخِيَةً إِلَى أَسْفَلٍ ، تَكَادُ تُخْفِي وَجْهَهُ وَأُذُنَيْهِ .

وَضَعَتْ إِنَاءَ اللَّحْمِ وَالْبَيْضِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، مُخَدِّتَةً شَيْئًا مِنْ
الْجَلْبَةِ ، وَصَاحَتْ بِهِ : « غَدَاؤُكَ جَاهِزٌ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ : « أَشْكُرُكَ . » لَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا حِينَ أَغْلَقَتْ أَلْبَابَ .
وَعِنْدَيْهِ اسْتِدَارَ ، وَأَتَجَّهَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَائِدَةِ .

فِي الْمَطْبَخِ مَلَأَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ طَبَقًا بِالزُّبْدِ ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ عَائِدَةً إِلَى
الرُّدْهَةِ .

نَفَرَتْ عَلَى أَلْبَابِ ، وَدَخَلَتْ فِي الْحَالِ ، فَإِذَا بِهِ يَتَحَرَّكَ بِسُرْعَةٍ حَتَّى
إِنَّمَا لَمْ تَرَ إِلَّا شَيْئًا أَبْيَضَ يَخْتَفِي وَرَاءَ الْمَائِدَةِ . وَبَدَأَ الرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ أَنْحَى
لِيَلْتَقِطَ شَيْئًا مِنْ عَلَى الْأَرْضِ . وَوَضَعَتْ طَبَقَ الزُّبْدِ عَلَى الْمِنْضَدَةِ ،

وَلَا حَظَّ أَنْ السِّمْعَطَفَ وَالْقُبْعَةَ كَانَا مَوْضُوعَيْنِ عَلَى مَقْعَدِ أَمَامَ السِّدْقَاةِ .

قَالَتْ فِي صَوْتٍ رَقِيقٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَابَلَ بِالرُّفْصِ : « أَرَى أَنْ
أَخَذَهُمَا آلَانَ لِأَجْفَفَهُمَا . »

قَالَ الضَّيْفُ : « دَعِيَ الْقُبْعَةَ . » ثُمَّ اسْتَدَارَ ، وَرَأَتْهُ وَقَدْ رَفَعَ
رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا . وَقَفَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لِحَظَّةٍ ، وَبَلَغَ مِنْ دَهْشَتِهَا
أَنَّهُ لَزِمَتْ الصَّمْتَ .

كَانَ مُمَسِّكًا بِمِنْشَفَةٍ بَيْضَاءَ ، حَجَبَ بِهَا الْجُزْءَ الْأَسْفَلَ مِنْ
وَجْهِهِ ، فَأَخْفَتْ فَمَهُ وَفَكَّيْهِ إِخْفَاءً تَامًا . يَبْدُو أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ



دَهْشَةِ السَّيِّدَةِ هُولَ ، فَالَّذِي أَذْهَشَهَا هُوَ أَنَّ أَعْلَى رَأْسِهِ - فَوْقَ النَّظَارَةِ
الزُّرْقَاءِ - كَانَ مُغَطَّى بِضِمَادَاتٍ بَيْضَاءَ ، وَكَانَتْ تُغَطِّي أُذُنَيْهِ ضِمَادَةً
أُخْرَى ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ وَجْهِهِ شَيْءٌ فِيهَا عِدا أَنْفَهُ الْمُدَبَّبَ الْأَحْمَرَ .
وَكَانَ أَنْفُهُ لَا يَزَالُ أَحْمَرَ لَامِعًا مِثْلَمَا رَأَتْهُ عِنْدَ قُدُومِهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ
الْغَرِيبُ يَرْتَدِي سُرَّةَ بَنِيَّةٍ غَامِقَةً لَهَا يَاقَةٌ سَوْدَاءُ مَرْفُوعَةً إِلَى أَعْلَى حَوْلِ
عُنُقِهِ ، أَمَّا شَعْرُهُ الْأَسْوَدُ الْكَثِيفُ فَكَانَ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ الضَّمَادَاتِ وَمِنْ
تَحْتِهَا . وَكَانَ هَذَا الرَّأْسُ الْمُضْمَدُّ يُخَالِفُ مَا تَوَقَّعْتَ أَنْ تَرَاهُ حَتَّى إِنَّهَا
وَقَفْتَ لَحِظَةً تُحَدِّقُ إِلَيْهِ .

لَمْ يَرْفَعْ الْغَرِيبُ الْمِنْشَقَّةَ عَنْ وَجْهِهِ ، بَلْ ظَلَّ مُمَسِّكًا بِهَا بِيَدِهِ
يَكْسُوهَا قُفَّازَ رَمَادِيٍّ ، وَأَخَذَ يُحْمِلِقُ إِلَى السَّيِّدَةِ هُولَ بِنَظَارَتِهِ الْقَاتِمَةِ .
وَقَالَ لَهَا : « دَعِي الْقُبَّعَةَ . »

بَدَأَ شُعُورُهَا بِالْخَوْفِ يَاقِلُ ، وَأَعَادَتْ الْقُبَّعَةَ إِلَى مَكَانِهَا فَوْقَ
الْمَقْعَدِ بِجَوَارِ الْمِدْفَاةِ ، وَقَالَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ يَا سَيِّدِي
أَنْ ... » وَتَوَقَّفَتْ عَنِ الْكَلَامِ .

قَالَ فِي أَقْتِضَابٍ : « شُكْرًا لَكَ . » وَأَخَذَ يَنْتَقِلُ بِبَصَرِهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
الْبَابِ .

قَالَتْ : « سَاعَمَلُ عَلَى تَجْفِيفِهَا جَيِّدًا ، يَا سَيِّدِي ، فِي الْحَالِ . »
وَحَمَلَتْ مَلَابِسَهُ إِلَى خَارِجِ الْغُرْفَةِ . وَتَطَلَّعَتْ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهِيَ
تَنْفُذُ مِنَ الْبَابِ ، إِلَى وَجْهِهِ الْمَعْصُوبِ بِالضُّمَادَاتِ ، وَإِلَى نَظَارَتِهِ
الْقَائِمَةِ ، فَوَجَدَتْهُ لَا يَزَالُ مُنْسِكَا بِالْمِنْشَفَةِ الْبَيْضَاءِ فَوْقَ وَجْهِهِ .
وَأَحْسَتْ بِرَعْشَةٍ تَدْبُ فِي أَوْصَالِهَا وَهِيَ تُغْلِقُ أَلْبَابَ خَلْفِهَا .
هَمَسَتْ : « يَا إِلَهِي ! » وَاتَّجَهَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ فِي هُدُوٍ ، وَلَمْ
يُخْطِرْ بِبَالِهَا أَبَدًا أَنْ تَسْأَلَ مِيبِلِي عَمَّا كَانَتْ تَفْعَلُهُ آنَذَاكَ .

إِسْتَوَى الْغَرِيبُ جَالِسًا ، وَأَرْهَفَ السَّمْعَ إِلَى وَقْعِ خُطَايَا ، وَنَظَرَ
صَوْبَ النَّافِذَةِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَدَ الْمِنْشَفَةُ الْبَيْضَاءُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَعَادَ يَتَنَاوَلُ
طَعَامَهُ مَرَّةً أُخْرَى . أَكَلَ لُقْمَةً ، وَنَظَرَ ثَانِيَةً إِلَى النَّافِذَةِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ لُقْمَةً
أُخْرَى ، وَنَهَضَ ، وَأَخَذَ الْمِنْشَفَةَ وَمَشَى عَبْرَ الْغُرْفَةِ ، وَأَسْدَلَ أَلْسَتَارَ ؛
فَاطْلَمَتِ الْغُرْفَةُ ، فَعَادَ إِلَى مَائِدَتِهِ وَطَعَامِهِ وَهُوَ أَسْعَدُ حَالًا .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ : « لَا بُدَّ أَنَّ الْمِسْكِينَ أُصِيبَ فِي حَادِثٍ ، أَوْ
أُجْرِيتَ لَهُ عَمَلِيَّةٌ جِرَاحِيَّةٌ ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . كَمْ أَرَعَبْتَنِي هَذِهِ
الضُّمَادَاتُ ! » وَوَضَعَتْ فِي الْمِدْفَأَةِ مَزِيدًا مِنَ الْفَحْمِ ، وَعَلَّقَتْ
الْمِعْطَفَ أَمَامَهَا لِكَيْ يَجِفَّ . وَرَاحَتْ تُكْمِلُ كَلَامَهَا : « وَالنَّظَارَةُ !

يَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّهُ لَا يَبْدُو عَلَى الْإِطْلَاقِ أَدِيمًا ! وَهَذِهِ الْمِنْشَقَةُ الَّتِي يُمَسِّكُهَا
بِاسْتِمْرَارٍ فَوْقَ فَمِهِ وَتَتَحَدَّثُ مِنْ جِلَالِهَا ! لَعَلَّهُ قَدْ أَصِيبَ فِي فَمِهِ
أَيْضًا . »

ثُمَّ اسْتَدَارَتْ ، كَأَنَّهُا تَذَكَّرَتْ شَيْئًا فَجَاءَتْ ، وَسَأَلَتْ : « أَلَمْ تَقْرَعِي
بَعْدُ يَا مِيلِي مِنْ إِعْدَادِ الْبَطَاطِسِ ؟ »

حِينَ ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ تَرَفَّعَ أَوَانِيَ الْغَدَاءِ ، أَرْدَادَتْ فِكْرَتَهَا
رُسُوحًا عَنْ إِصَابَةٍ فِيهِ فِي حَادِثٍ ؛ فَرَغِمَ أَنَّهُ كَانَ يُدَخِّنُ غَلْيُونَهُ طَوَالَ
الْوَقْتِ الَّذِي مَكَثَتْ فِيهِ فِي الْغُرْفَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًّا فِي إِخْفَاءِ الْجُزْءِ
السُّفْلِيِّ مِنْ وَجْهِهِ .

كَانَ جَالِسًا فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ ، وَظَهَرَهُ إِلَى سِتَارِ النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ خَفَّتْ جِدَّةُ تَبَرُّمِهِ عَنْ ذِي قَبْلُ ، بَعْدَ أَنْ أَكَلَ وَارْتَوَى ، وَشَعَرَ
بِالْدَّفِ وَالرَّاحَةِ . وَكَانَتْ نِيرَانُ الْجِدْفَةِ تَنْعَكِسُ حُمَاءً عَلَى زُجَاجِ
نَظَّارَتِهِ .

قَالَ : « لَدَيَّ بَعْضُ الْحَقَائِبِ فِي مَحْطَةِ بَرَامِبِلْهِرِسْتِ ، فَكَيْفَ
يُمْكِنُ أَنْ نُحْضِرَهَا إِلَى هُنَا ؟ »

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ عَنْ سُؤَالِهِ ، وَوَاصَلَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً : « إِنَّ

طَرِيقَ اللَّئْلِ مُنَحْدِرًا يَا سَيِّدِي ، وَفِيهِ انْقَلَبَتْ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ مُنْذُ عَامٍ أَوْ
أَكْثَرَ ، وَلَقِيَ أَحَدَ السَّادَةِ مَضْرَعَهُ . إِنَّ الْحَوَادِثَ تَقَعُ يَا سَيِّدِي فِي
لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

« بلى . »

« لَكِنَّ النَّاسَ يَسْتَغْرِقُونَ وَقْتًا طَوِيلًا لِكَيْ يَبْرَأُوا مِنْ إصَابَاتِهِمْ ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ لَقَدْ وَقَعَ ابْنُ أُخْتِي تَوَمَ فَوْقَ الْمَنَجَلِ فِي حَقْلِ التَّبَنِ
فَأَصِيبَ بِجُرْحٍ فِي ذِرَاعِهِ . تَصَوَّرَ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ ظَلَّ مُشْدُودًا بِالْأَرْبَاطِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ! هَذَا شَيْءٌ يَكَادُ لَا يُصَدَّقُ يَا سَيِّدِي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْذُ تِلْكَ
اللَّحْظَةِ أَخَافُ الْمَنَاجِلَ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ : « أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْرِكَ هَذَا . »

« كُنَّا نَخْشَى أَنْ يَتَطَلَّبَ الْأَمْرُ إِجْرَاءَ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ . لَقَدْ كَانَ فِي أَسْوَأِ
حَالٍ . »

صَحِكَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ فَجْأَةً ، وَكَانَتْ ضِحْكَتُهُ أَشْبَهَ بُبَاحِ كُلِّ .

قَالَ : « أَوْ حَقًّا ؟ »

« نَعَمْ يَا سَيِّدِي . كَانَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَادِيًّا بِالنِّسْبَةِ
لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْمَرُضُونَهُ ، كَمَا فَعَلْتُ أَنَا ، وَكَانَتْ أُخْتِي مُشْغُولَةً

بِصِغَارِهَا . كَانَتْ ثَمَّةَ ضِمَادَاتٍ أَعْصَبُ بِهَا ذِرَاعُهُ ، وَضِمَادَاتُ أَفْكُهَا ،
لِذَا فَإِنِّي أَتَجَاسَّرُ يَا سَيِّدِي عَلَى أَنْ أَسْأَلَكَ . . . »

فَجَاءَهُ ، قَالَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ مُقَاطِعًا إِيَّاهَا : « هَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي
بِبَعْضِ الثَّقَابِ ؛ فَقَدْ أَنْطَفَأَ غَلْيُونِي . »

أَمْسَكَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ عَنِ الْكَلَامِ ؛ فَقَدْ أَحَسَّتْ بِالْفَظَاطَةِ فِي
تَصَرُّفِهِ بَعْدَ أَنْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِالْكَثِيرِ ، لَكِنَّا تَذَكَّرَتْ الْجُنَيْهَيْنِ ، فَمَضَتْ
لِتَأْتِيَنِي بِالثَّقَابِ .

قَالَ بِاقْتِضَابٍ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا الثَّقَابَ : « أَشْكُرُكَ . » ثُمَّ أَوَّلَاهَا
ظَهْرَهُ ، وَعَادَ يَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ لَا يَمِيلُ إِلَى الْحَدِيثِ
عَنِ الضَّمَادَاتِ .

بَقِيَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ فِي غُرْفَتِهِ حَتَّى الرَّابِعَةِ مَسَاءً ، دُونَ أَنْ يُهَيَّئَ
لِلْسَّيِّدَةِ هُولَ سَبَبًا لِمَزِيَارَتِهِ . وَخِلَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ هَادِئًا جِدًّا . لَعَلَّهُ
جَلَسَ فِي الْعَتَمَةِ الْمُتَزَايِدَةِ يُدَخِّنُ غَلْيُونَهُ ، أَوْ لَعَلَّهُ اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ .
وَقَدْ سَمِعَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَذَرُغُ الْغُرْفَةَ جِيئَةً وَذَهَابًا خَمْسَ دَقَائِقَ .
وَبَدَا كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَعْدِدُ سَمْعَ لِلْمَقْعَدِ ذِي الْمَسْنَدَيْنِ
صَرِيرٌ وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ .^١

الفصل الثاني السيد هنفري يجفل فرعاً

في الرابعة مساءً ، لم تكن الدنيا قد أظلمت تماماً ، وكانت السيدة هول تتلمس في نفسها الشجاعة لتمضي إلى ضيفها لتسأله إن كان يريد شايًا . في تلك اللحظة جاء إلى الفندق تيدي هنفري الذي يقوم بإصلاح الساعات .

قال تيدي مخاطباً السيدة هول : « أسيذت مساءً . إن الطرقات مليئة بالثلج ، ولا تصلح لها الأحذية الرقيقة الجلد ! »

وافقت السيدة هول على قوله ، ثم فطنت إلى أنه جاء بحقيبه معه ، فقالت له : « الآن وقد جئت يا سيد تيدي ، فإنه يسعدني أن تفحص الساعة العتيقة . إنها تعمل وتدق دقات عالية واضحة ، غير أن عقرب الساعات متوقف عند السادسة لا يتحرك . » ومشت تتقدمه عبر الردهة ، وقرعت باب الردهة .

عِنْدَمَا فَتَحَتِ الْبَابَ ، رَأَتْ الزَّائِرَ الْغَرِيبَ جَالِسًا أَمَامَ الْمِدْفَأَةِ عَلَى الْمَقْعَدِ ذِي الْمَسْنَدَيْنِ ، وَبَدَأَ غَارِقًا فِي النَّوْمِ ، وَرَأْسُهُ الْمُضْمَدُ مَائِلٌ عَلَى جَنْبِهِ . وَكَانَ الضَّوُّ الْوَحِيدُ فِي الْغُرْفَةِ ذَلِكَ الْوَهَجُ الْأَحْمَرُ الْمُنْبِيعُ مِنْ نِيرَانِ الْمِدْفَأَةِ ، وَتَرَأَى كُلُّ شَيْءٍ فِي الْغُرْفَةِ مَغْمُورًا بِالظُّلَالِ .

وَفِي لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ حُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ لِلرَّجُلِ الَّذِي تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ فَمَا وَاسِعًا مَغْمُورًا ، فَمَا يَشْغُلُ مِنْ وَجْهِهِ جُزْءُهُ الْأَسْفَلُ . وَتَرَأَى الْمَشْهُدَ مِنَ الْبَشَاعَةِ بِحَيْثُ لَا يُصَدِّقُ : فَثَمَّةُ رَأْسٍ أَبْيَضُ ، وَنَظَارَةُ بَرَّاقَةٌ ، ثُمَّ فَجْوةٌ كَبِيرَةٌ . وَتَحَرَّكَ الرَّجُلُ ، وَاعْتَدَلَ فِي جِلْسَتِهِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ ، وَدَفَعَتِ السَّيِّدَةُ الْبَابَ تَوْسِيعَ فَتْحَتِهِ ، فَازْدَادَتِ الْغُرْفَةُ نُورًا ، وَاسْتَطَاعَتْ عِنْدَيْدِ أَنْ تَرَاهُ أَكْثَرَ وَضُوحًا : كَانَتْ قِطْعَةُ الْقُمَاشِ تُحْجُبُ وَجْهَهُ ، كَمَا رَأَتْهُ مِنْ قَبْلِ مُمْسِكًا بِهَا ، فَتَصَوَّرَتْ أَنَّ ظِلَالَ الْغُرْفَةِ خَدَعَتْ بَصَرَهَا .

سَأَلَتْهُ : « أَيْضَاقُكَ يَا سَيِّدِي أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ لِيَفْخَصَ السَّاعَةَ ؟ ! »

« يَفْخَصُ السَّاعَةَ ؟ » تَسَاءَلَ مُحْمِلًا حَوْلَهُ وَهُوَ يُغَالِبُ النَّعَاسَ ،

ثُمَّ تَنَبَّهَ وَقَالَ : « فَلْيَحْضُرْ بِالتَّأَكِيدِ . »

إِنْصَرَفَتِ السَّيِّدَةُ هُوْلَ لِتُحْضِرَ مِصْبَاحًا ، وَنَهَضَ الْغَرِيبُ وَاقِفًا ،
وَمَطَّي . وَظَهَرَ الضُّوءُ ، وَبَوَّغَتِ السَّيِّدُ تَيْدِي هَنْفَرِي ، وَهُوَ عِنْدَ
الْبَابِ ، بِمُشَاهَدَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمُضْمَدِ ، وَفَرَعَ لِرُؤْيَتِهِ وَأَجْفَلَ .
قَالَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ وَهُوَ يُحْمِلُ إِلَيْهِ : « طَابَ مَسَاوُكَ
يَا سَيِّدِي . »

قَالَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي : « أَرْجُو أَلَّا يُزْعِجَكَ وُجُودِي يَا سَيِّدِي . »
قَالَ الْغَرِيبُ : « كَلَّا ، بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . » ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى السَّيِّدَةِ هُوْلَ
قَائِلًا : « وَلَكِنِّي فَهِمْتُ أَنَّ هَذِهِ الْغُرْفَةَ لِاسْتِعْمَالِي الْخَاصِّ . »
أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هُوْلَ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا سَيِّدِي أَنَّكَ تُفَضِّلُ أَنْ تَكُونَ
السَّاعَةُ . . . »

قَاطَعَهَا الْغَرِيبُ : « طَبْعًا ! طَبْعًا ! وَلَكِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أَكُونَ وَخِدي
فِيهَا بَعْدُ . » ثُمَّ اسْتَدَارَ مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ لِلْمِذْفَاءَةِ ، وَعَقَدَ يَدَيْهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
وَقَالَ : « وَيَعْدُ أَنْ يَتِمَّ إِصْلَاحُ السَّاعَةِ أَحَبُّ أَنْ أَشْرَبَ قَدَحًا مِنْ
الشَّايِ ، وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ . »

هَمَّتِ السَّيِّدَةُ هُوْلَ بِمُغَادَرَةِ الْغُرْفَةِ ، دُونَ أَنْ تُحَاوِلَ الْكَلَامَ ، وَلَكِنَّهُ

أَبْتَدَرَهَا مُتَسَائِلًا عَمَّا إِذَا كَانَتْ قَدْ فَعَلَتْ شَيْئًا بِشَأْنِ إِحْضَارِ حَقَائِبِهِ مِنْ
مَحْطَةِ بَرَامِيلِهْرِست ، فَأَجَابَتْهُ بِأَنَّ الْحَمَالَ سَيَأْتِي بِهَا فِي الْيَوْمِ الْتَالِي .

سَأَلَهَا : « أَمْ تَأْكُذُّهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُحْضِرَهَا قَبْلَ ذَلِكَ ؟ »

وَلَمْ تَرُدَّ السَّيِّدَةُ هُولَ ، فَاسْتَطَرَدَ : « كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَوْضَحَ مِنْ
الْبِدَايَةِ أَنِّي عَالِمٌ ، وَلَكِنْ إِحْسَاسِي بِالتَّعَبِ وَالْبَرْدِ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ . لَأَنِّي
فِي حَاجَةٍ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي حَقَائِبِي . »

« طَبْعًا يَا سَيِّدِي . »

وَوَاصَلَ حَدِيثَهُ بِطُءٍ قَائِلًا : « إِنَّ السَّبَبَ فِي قُدُومِي إِلَى أَيْنِغَ هُوَ
رَغْبَتِي فِي أَنْ أَنْفِرَ بِنَفْسِي : فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ يُزْعِجَنِي أَحَدٌ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى
أَنْ حَادِثًا . . . »

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ لِنَفْسِهَا : « هَذَا مَا ظَنَنْتُ . »

اسْتَطَرَدَ قَائِلًا : « هَذَا الْحَادِثُ جَعَلَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ أَكُونَ
هَادِثًا . كَمَا أَنَّ عَيْنِي تَضَعُفَانِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَتَوَلِّمَانِي ، فَلَا بُدَّ لِي
عِنْدَيْهِ مِنْ أَنْ أَحْسِسَ نَفْسِي فِي الظُّلَامِ بِضَعِّ سَاعَاتٍ . وَهَذَا يَحْدُثُ لِي
مِنْ حِينٍ لآخر ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . وَفِي مِثْلِ

هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَإِنْ أَبْطَسَ شَيْءٌ يَحْدُثُ يُسَبِّبُ لِي أَلَمًا شَدِيدًا ، كَدْخُولِ
 شَخْصٍ غَرِيبٍ إِلَى الْغُرْفَةِ مَثَلًا ، وَهَذَا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا .
 قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ : « طَبْعًا يَا سَيِّدِي . وَإِذَا أَذِنْتَ لِي
 فَأَعْتَقِدُ . . . »

قَاطَعَهَا فِي هُدُوءٍ قَائِلًا : « هَذَا كُلُّ شَيْءٍ . »

بَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ ، لَبِثَ وَاقِفًا أَمَامَ الْمِدْفَأَةِ يَتَطَلَّعُ إِلَى
 السَّاعَةِ أَثْنَاءَ إِصْلَاحِهَا . وَكَانَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي مَاضِيًا فِي مُزَاوَلَةِ عَمَلِهِ ،
 وَالْمِصْبَاحُ عَلَى كَتَبٍ مِنْهُ ، وَالظَّلَالُ الْخَضِرَاءُ تَعَكِّسُ عَلَى يَدَيْهِ وَعَلَى
 التُّرُوسِ ضَوْءًا لَامِعًا ، تَارِكَةً بَقِيَّةَ الْغُرْفَةِ غَارِقَةً فِي الظَّلَامِ . وَاسْتَفْرَقَ
 هَنْفَرِي وَقْتًا أَطْوَلَ مِمَّا يَنْبَغِي فِي رَفْعِ أَدَوَاتِهِ ، وَكَانَ يَحْدُوهُ الْأَمَلُ فِي أَنْ
 يَتَبَادَلَ الْحَدِيثَ مَعَ الْغَرِيبِ ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ لَبِثَ مَكَانَهُ صَامِتًا جَامِدًا .
 وَكَانَ جُحُودُهُ بِالْعَا إِلَى دَرَجَةِ أَثَارَتِ الْخَوْفِ فِي قَلْبِ هَنْفَرِي ، وَشَعَرَ أَنَّهُ
 وَحِيدٌ فِي الْغُرْفَةِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَلِّعًا ، وَعِنْدَيْهِ لَمْ يَرَ إِلَّا الظَّلَالَ
 الْمُعْتِمَةَ الرَّمَادِيَّةَ ، وَذَلِكَ الرَّأْسَ الْمَعْصُوبَ بِالضَّمَادَاتِ ، وَتِلْكَ
 النَّظَارَةَ الْكَبِيرَةَ الدَّاكِنَةَ الَّتِي تُحْمِلُ فِي ثَبَاتِ .

كَانَ الْأَمْرُ غَرِيبًا بِالنِّسْبَةِ لِهَنْفَرِي ، لِذَرَجَةِ مَرْتٍ مَعَهَا اللَّحْظَاتُ



وَكُلُّ مِنْهَا يُحْمَلُ إِلَى الْآخِرِ . وَعِنْدَيْهِ خَفْضَ هَنْفَرِي بَصَرَهُ ، وَوَدَّ أَنْ
يَقُولَ شَيْئًا : أَتَرَاهُ يَقُولُ إِنَّ الْجَوَّ أَشَدُّ بُرُودَةً مِمَّا هُوَ مَأْلُوفٌ فِي مِثْلِ هَذَا
الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ ؟

شَرَعَ يَقُولُ : « إِنَّ الْجَوَّ ... »

قَاطَعَهُ الْغَرِيبُ الصَّارِمُ بِغَضَبٍ : « هَلَّا أَنْجَزْتَ عَمَلَكَ وَأَنْصَرَفْتَ ؟
إِنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُثَبِّتَ عَقْرَبَ السَّاعَاتِ . إِنَّكَ تُضَيِّعُ
الْوَقْتَ : »

« بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يَا سَيِّدِي ... دَقِيقَةً وَاحِدَةً لَا أَكْثَرَ ... لَقَدْ
نَسِيتُ ... »

أَنْجَزَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي عَمَلَهُ وَغَادَرَ الْغُرْفَةَ غَاضِبًا . وَقَالَ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ
وَهُوَ يَقْطَعُ شَارِعَ الْبَلَدَةِ وَالشُّلُوجَ لَا تَزَالُ مُنْهَمِرَةً : « عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ! لَا بُدَّ
لِلْمَرْءِ أَنْ يُصْلِحَ السَّاعَاتِ مِنْ حِينَ لآخر . أَلَا يُمَكِّنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَيْكَ ؟ يَا لَكَ مِنْ دَمِيمٍ ! لَا أَحْسَبُكَ أَنْتَ نَفْسَكَ تُطِيقُ النَّظَرَ إِلَى
وَجْهِكَ . لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ هَارِبًا مِنَ الشُّرْطَةِ فَلَنْ يُخَفِّيكَ الْمَزِيدُ مِنَ
الْأَلْفَائِفِ وَالضَّمَادَاتِ . »

وَعِنْدَ مُنْعَطِفِ الشَّارِعِ رَأَى السَّيِّدَ هُوَلُ الَّذِي تَزَوَّجَ سَيِّدَةَ الْفُنْدُقِ
مُنْذُ عَهْدٍ قَرِيبٍ .

سَأَلَهُ هُوَلُ : « كَيْفَ حَالُكَ يَا تَيْدِي ؟ »

أَجَابَهُ تَيْدِي : « إِنَّ لَدَيْكُمْ نَزِيلًا غَرِيبَ الشَّأْنِ . »

وَسَأَلَ هُوَلُ : « مَاذَا تَعْنِي ؟ »

قَالَ تَيْدِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ يَنْزِلُ فِي الْفُنْدُقِ . » ثُمَّ مَضَى يَصِفُ
ضَيْفَ السَّيِّدَةِ هُوَلُ : « إِنَّهُ شَخْصٌ عَجِيبٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ إِنَّنِي مَا
كُنْتُ أَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بَيْتِي إِلَّا إِذَا رَأَيْتُ وَجْهَهُ . وَلَكِنَّ النِّسَاءَ
يَتَصَرَّفْنَ بِبِلَاهَةٍ مَعَ الْأَغْرَابِ . لَقَدْ اسْتَأْجَرَ إِحْدَى الْغُرَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
حَتَّى اسْمَهُ . »

فَقَالَ هُوَلُ ، وَهُوَ رَجُلٌ يَتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَبَاءِ : « شَيْءٌ غَرِيبٌ ! »

قَالَ تَيْدِي : « نَعَمْ ! كَمَا أَنَّ لَدَيْهِ الْعَدِيدَ مِنَ الْحَقَائِبِ الَّتِي سَتَصِلُهُ
غَدًا ، كَمَا يَقُولُ . » وَوَصَلَ تَيْدِي سِيرَهُ ، وَقَدْ أَحَسَّ بِالْأَرْيَاحِ .

وَفِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ أَوَى الْغَرِيبُ إِلَى مِخْدَعِهِ . وَمَضَى السَّيِّدُ
هُوَلُ إِلَى الرَّدْهَةِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْأَثَاثَ بِإِمْعَانٍ شَدِيدٍ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْغَرِيبَ

لَيْسَ السَّيِّدُ فِي الْفُنْدُقِ ، ثُمَّ قَالَ لِزَوْجَتِهِ ، عِنْدَمَا دَخَلَ مِخْدَعُهُ :
« يَجِبُ أَنْ تَفْحَصِي حَقَائِبَ هَذَا التَّرْزِيلِ بِعِنَايَةٍ شَدِيدَةٍ عِنْدَمَا تَصِلُ
غَدًا . »

أَجَابَتْ : « اِهْتَمِّ بِشُؤْنِكَ يَا هُوْل وَدَعْنِي أَهْتَمُّ بِشُؤْنِي . »
بَيَّنَّ أَنَّهَا اسْتَيْقَظَتْ فِي مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَتْ فِي حُلْمِهَا
رُؤُوسًا بَيْضَاءَ ضَخْمَةً تَسْعَى وَرَاءَهَا ، وَلَهَا أَعْنَاقٌ طَوِيلَةٌ ، وَعُيُونٌ كَبِيرَةٌ
سَوْدَاءُ . وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ السَّيِّدَةُ هُوْلَ امْرَأَةً عَاقِلَةً مُتَرَنِّةً ، فَقَدْ اسْتَدَارَتْ
عَلَى جَنْبِهَا ، وَاسْتَغْرَقَتْ فِي النَّوْمِ مِنْ جَدِيدٍ .

الفصل الثالث

ألف زجاجة وزجاجة

كَانَتْ هَذِهِ قِصَّةَ مَجِيءِ الْغَرِيبِ إِلَى قَرْيَةِ أَيْبِنَغِ فِي التَّاسِعِ مِنْ فَبْرَايِرَ ،
فِي بِدَايَةِ فَصْلِ الدَّفءِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَصَلَتْ أَمْتِيعَتُهُ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهَا
حَقِيقَتَانِ عَادِيَتَانِ ، وَصُنْدُوقٌ كَبِيرٌ مَمْلُوءٌ بِالْكَتَبِ الْفَحْمَةِ ، وَكَانَ
الْبَعْضُ مِنْهَا مَكْتُوبًا بِخَطِّ تَصْعُبٍ قِرَاءَتُهُ ؛ إِلَى جَانِبِ عَشْرَةِ صُنَادِيقٍ أَوْ
أَكْثَرَ مَمْلُوءَةٍ بِالزُّجَاجَاتِ ، كَمَا تَرَأَى لِهُولٍ وَهُوَ يُزِيحُ الْقَشَّ الَّذِي
يُغَطِّيهَا .

خَرَجَ الْغَرِيبُ مُرْتَدِّيًا قُبْعَتَهُ وَسُرَّتَهُ وَقَفَازَهُ وَمِعْطَفَهُ لِيَسْتَقْبِلَ عَرَبَةً
فِيرُنْسَايِدَ وَهُوَ مُتَبَرِّمٌ نَافِذُ الصَّبْرِ ، عَلَى حِينِ كَانَ هُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَى
الْحِمَالِ قَبْلَ أَنْ يُشَارِكَ فِي نَقْلِ الْأَمْتِيعَةِ إِلَى الدَّاحِلِ . وَلَمْ يَقْطَنْ
الْغَرِيبُ إِلَى كَلْبٍ فِيرُنْسَايِدَ وَهُوَ يَتَشَمُّ سَاقِي هُوَ .

قَالَ الْغَرِيبُ : « عَجَلْ بِهِذِهِ الصَّنَادِيقِ . لَقَدْ أَنْتَظَرْتُهَا طَوِيلًا . »

وَهَبَطَ الدَّرَجَ مُتَجِّهًا نَحْوَ مُؤَخَّرَةِ الْعَرَبَةِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْعُلْبَةَ
الصَّغِيرَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ يَكْذِبُ فِيرِنْسَايْدُ يَرَاهُ حَتَّى أَخَذَ يُزْمَجِرُ . وَلَمَّا هَبَطَ الدَّرَجَ
مُسْرِعًا انْقَضَّ الْكَلْبُ عَلَى يَدِ الْغَرِيبِ مُبَاشَرَةً . وَصَرَخَ هَوْلًا ، وَقَفَزَ إِلَى
الْوَرَاءِ ، إِذْ كَانَ يَخْشَى الْكِلاَبَ . وَصَاحَ فِيرِنْسَايْدُ عَلَى كَلْبِهِ : « أَزُقْ !
أَزُقْ ! » وَالتَّقَطَ سَوَطُهُ بِسُرْعَةٍ .

وَرَأَى أَنْ أُنْيَابَ الْكَلْبِ أَخْطَأَتْ يَدَ الْغَرِيبِ ، وَسَمِعَا رَكْلَةً ، ثُمَّ
شَاهَدَا الْكَلْبَ يَقْفِزُ وَيَعْصُ سَاقَ الْغَرِيبِ ، وَسَمِعَا صَوْتَ تَمَزُّقِ
بَنْطَلُونِهِ . وَعِنْدَئِذٍ هَوَى فِيرِنْسَايْدُ بِالسَّوِطِ عَلَى كَلْبِهِ ، فَعَوَى مِنْ شِدَّةِ
الْأَلَمِ ، وَرَحَفَ تَحْتَ عَجَلَاتِ الْعَرَبَةِ .

وَقَعَ كُلُّ هَذَا خِلَالَ نِصْفِ دَقِيقَةٍ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمَا ، بَلْ
أَخَذَا يَصْرُخَانِ ، وَنَظَرَ الْغَرِيبُ إِلَى قَفَازِهِ الْمُمَزَّقِ وَإِلَى سَاقِهِ ؛ فَاسْتَدَارَ
وَأَرْتَقَى الدَّرَجَ بِسُرْعَةٍ وَدَخَلَ الْفُنْدُقَ . وَسَمِعَاهُ يَغْبُرُ الْمَمَرَّ وَيَصْعَدُ
الدَّرَجَ إِلَى غُرْفَتِهِ .

قَالَ فِيرِنْسَايْدُ وَهُوَ يَهْبِطُ مِنَ الْعَرَبَةِ وَسَوَطُهُ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ كَلْبُهُ يَرْقُبُهُ

مِنْ وَرَاءِ الْعَجَلَةِ : « يَا لَكَ مِنْ مُتَوَحِّشٍ ! تَعَالَ هُنَا ! تَعَالَ هُنَا
وَلَا ... »

وَقَفَتْ هُورٌ مُحْمِلًا ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ عَضُّهُ الْكَلْبُ ، وَيَحْسُنُ بِي
أَنْ أَذْهَبَ لِأَرَاهُ . » وَمَضَى وَرَاءَ الْغَرِيبِ ، وَالتَقَى زَوْجَتَهُ فِي الْمَمَرِّ فَقَالَ
لَهَا : « لَقَدْ عَضُّهُ كَلْبُ الْحِمَالِ . »

وَصَعِدَ عَلَى الْفُورِ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ ، وَدَفَعَ بَابَ غُرْفَةِ الْغَرِيبِ
وَدَخَلَهَا .

كَانَتْ السَّتَارَةُ مُسَدَّلَةً ، وَالْغُرْفَةُ مُظْلِمَةً . وَوَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مَشْهَدٍ
غَرِيبٍ : مَشْهَدٌ ذِرَاعٍ لَا يَدَ لَهَا تُشِيرُ إِلَيْهِ ، وَوَجْهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا ثَلَاثُ بَقَعٍ
سُودَاءَ كَبِيرَةٍ فَوْقَ شَيْءٍ أَيْبَضَ . وَفَجْأَةً أُصِيبَ بِخَبْطَةٍ عَلَى صَدْرِهِ أَلْقَتْ بِهِ
خَارِجَ الْغُرْفَةِ ، ثُمَّ أَنْصَفَقَ الْبَابُ فِي وَجْهِهِ ، وَأَغْلَقَ بِالْمِفْتَاحِ .

حَدَثَ كُلُّ هَذَا بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ لَمْ تُتَبَّحْ لَهُ فُرْصَةٌ يَرَى فِيهَا أَيَّ شَيْءٍ
يُوضَحُ : أَشْبَاحٌ تَحَرَّكَتْ ، وَخَبْطَةٌ فِي صَدْرِهِ ، وَدَوِيٌّ شَبِيهُ دَوِيِّ طَلْقَةِ
بُنْدُوقِيَّةٍ . وَوَقَفَ فِي الْمَمَرِّ الْمُظْلِمِ يَتَسَاءَلُ عَمَّا رَأَى .

بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ مَضَى إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي احْتَشَدَ خَارِجَ الْفُنْدُقِ .

كَانَ بَيْنَهُمْ فِيرْنَسَايدَ يَرَوِي الْقِصَّةَ كُلَّهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ؛ ثُمَّ السَّيِّدَةُ هُولَ
تَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ كُلِّهِ أَنْ يَعْصُ نُزْلَاءَهَا ؛ وَكَانَ هُنَاكَ أَيْضًا هَكَسْتَرُ
صَاحِبُ الْمَتَجَرِّ الْوَاقِعِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الطَّرِيقِ يَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ ؛
ثُمَّ سَانْدِي وَذَجَرَزُ بِوَجْهِهِ الْمُتَجَهِّمِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمْعٍ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْأَطْفَالِ ، كُلُّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ .

أَمَّا السَّيِّدُ هُولَ فَكَانَ يُحْمِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ وَيُنْصِتُ إِلَيْهِمْ
وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ أَنَّهُ رَأَى فِي الطَّابِقِ الْعُلُويِّ أَشْيَاءَ شَدِيدَةَ الْغَرَابَةِ تَحْدُثُ .

أَجَابَ عَنْ سُؤَالِ وَجْهَتِهِ لَهُ زَوْجَتُهُ : « يَقُولُ إِنَّهُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى
الْمُسَاعَدَةِ ، وَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَدْخُلَ مَتَاعَهُ إِلَى الْفُنْدُقِ . »

قَالَ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ : « يَنْبَغِي أَنْ يُبَادَرَ إِلَى عِلَاجِ سَاقِهِ عَلَى الْفُورِ . »

قَالَتْ سَيِّدَةُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ الْمُحْتَشِدِ : « لَوْ أَنِّي مَكَانَهُ لَأُطْلِقْتُ
النَّارَ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ . هَذَا مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ . »

وَفَجْأَةً عَادَ الْكَلْبُ إِلَى الزُّمَجَرَةِ .

وَعَلَا صَوْتُ غَاضِبٍ عِنْدَ مَدْخَلِ الْفُنْدُقِ يَقُولُ : « أُسْرِعُوا ! » وَإِذَا

بِالْغَرِيبِ يَقِفُ عِنْدَ الْمَدْخَلِ ، وَبِأَقْفِهِ سُتْرَتُهُ مَرْفُوعَةٌ إِلَى أَعْلَى ، وَحَافَةٌ

فَبَعَثَهُ مَرْحِيَّةً إِلَى أَسْفَلٍ ، وَكَانَ قَدْ بَدَّلَ بَنَظْلُونَهُ وَقَفَّارَهُ .

قَالَ : « كَلِّمُوا عَجَلْتُمْ بِإِذْخَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، زِدْتُمْ مِنْ سُرُورِي . »

سَأَلَهُ فِيرْنَسَايْدُ : « هَلْ أَصَابَكَ أَدَى يَا سَيِّدِي ؟ إِنِّي آسِفٌ جِدًّا لِأَنَّ

الْكَلْبُ . . . »

أَجَابَهُ الْغَرِيبُ : « كَلَّا ! عَلَى الْإِطْلَاقِ ! إِنْ جِلْدِي لَمْ يُجْرَحَ .

أَسْرِعُوا بِإِذْخَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . »

مَا إِنْ وُضِعَ أَوَّلُ صُنْدُوقٍ فِي الرُّدْهَةِ حَتَّى مَضَى الْغَرِيبُ يَفْتَحُهُ ،

وَيُبْعَثُ الْقَشُّ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يُخْرِجُ مِنْهُ الزُّجَاجَاتِ : وَكَانَتْ زُّجَاجَاتِ

صَغِيرَةً سَمِيكَةً ، وَزُّجَاجَاتِ صَغِيرَةً رَفِيعَةً ، وَزُّجَاجَاتِ زُرْقَاءَ ،

وَزُّجَاجَاتِ مُسْتَدِيرَةٍ ، أَعْنَاقُهَا رَفِيعَةٌ ، وَزُّجَاجَاتِ خَضِرَاءَ كَبِيرَةٍ ،

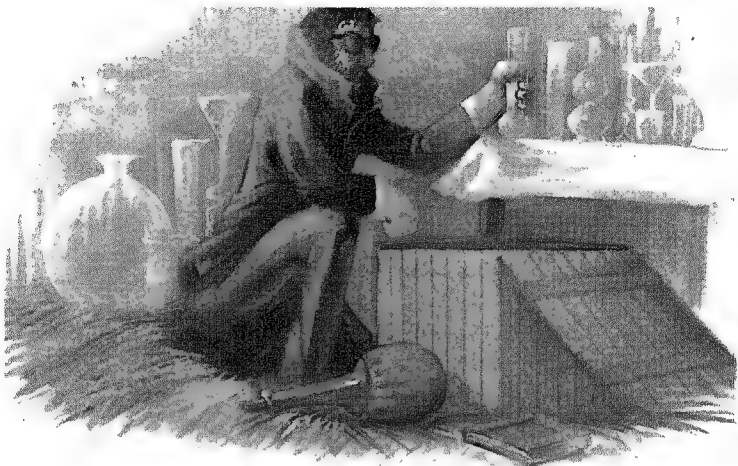
وَزُّجَاجَاتِ بَيْضَاءَ كَبِيرَةٍ ، وَزُّجَاجَاتِ عَصِيرٍ ، وَزُّجَاجَاتِ وَزُّجَاجَاتِ

وَزُّجَاجَاتِ .

وَأَخَذَ الْغَرِيبُ يَصِفُ الزُّجَاجَاتِ صُفُوفًا عَلَى الْمِنْضَدَةِ تَحْتَ

النَّافِذَةِ ، وَحَوْلَ جِدَارِ الرُّدْهَةِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَجِيءَ بِالصُّنَادِقِ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ كُلُّهَا مَمْلُوءَةً



بِالرُّجَاجَاتِ . وَأَفْرَغَ مِنَ الصَّنَادِقِ سِتَّةَ ، وَكُومَ الْقَشِّ كُومًا عَالِيًا فَوْقَ
الْأَرْضِ وَفَوْقَ الْمَائِدَةِ .

وَلَمَّا أَتَتْهُ الْغَرِيبُ مِنْ إِفْرَاقِ الصَّنَادِقِ مَضَى إِلَى النَّافِذَةِ ، وَشَرَعَ
فِي الْعَمَلِ ، دُونَ أَنْ يَحْفَلَ بِالْقَشِّ الْمَكُومِ ، أَوْ بِالسِّدْفَاءِ الَّتِي
انْطَفَأَتْ نِيرَانُهَا ، أَوْ بِصُنْدُوقِ الْكُتُبِ الَّذِي كَانَ خَارِجَ الْفُنْدُوقِ ، أَوْ
بِالْحَقَائِبِ وَالْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي نُقِلَتْ إِلَى عُرفِهِ بِالطَّابِقِ الْعُلُويِّ .

وَلَمَّا أَحْضَرَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ هُوْلَ طَعَامِ الْغَدَاءِ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ ؛ لَمْ
يَسْمَعْ صَوْتَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَزَاحَتْ مُعْظَمَ الْقَشِّ ، وَوَضَعَتْ الطَّعَامَ عَلَى
الْمَائِدَةِ . وَعِنْدَئِذٍ انْتَفَتَحَتْ إِلَيْهَا نِصْفَ الْبَابِ ؛ ثُمَّ أَدَارَ وَجْهَهُ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهَا

رَأَتْ أَنَّهُ خَلَعَ نَظَارَتَهُ ، وَكَانَتْ مَوْضُوعَةً أَمَامَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ؛ وَبَدَا لَهَا أَنَّهُ
 بِغَيْرِ عَيْنَيْنِ . وَلَيْسَ النَّظَّارَةَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَالتَفَتَ إِلَيْهَا . وَهَمَّتْ بِإِبْدَاءِ
 اسْتِثْنَائِهَا مِنَ الْقَشِّ الَّذِي عَلَى أَرْضِيَّةِ الْغُرْفَةِ ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَهَا إِلَى الْكَلَامِ .
 قَالَ غَاضِبًا كَمَادَتِهِ : « أَوَدُّ أَلَّا تَدْخُلِي الْحُجْرَةَ دُونَ دَقِّ
 الْبَابِ . »

قَالَتْ : « لَقَدْ دَقَقْتُ الْبَابَ ، وَلَكِنْ ... »

« أَتَنَاءَ اسْتِغْرَاقِي فِي الْعَمَلِ لَا أَقْبَلُ أَنْ ... لَا بُدَّ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ
 أَنْ ... »

قَالَتْ : « طَبْعًا يَا سَيِّدِي . لَكَ أَنْ تُغْلِقَ الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ فِي أَيِّ
 وَقْتٍ تَشَاءُ . »

قَالَ الْغَرِيبُ : « فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . »

قَالَتْ : « هَذَا الْقَشُّ يَا سَيِّدِي ، إِذَا أَذِنْتَ لِي أَنْ أَقُولَ ... »

قَاطَعَهَا قَائِلًا : « لَا تَقُولِي شَيْئًا ، وَإِذَا كَانَ الْقَشُّ يُضَاقِقُكَ فَأَضِيفِي

ذَلِكَ إِلَى فَاتُورَةِ الْحِسَابِ . »

وَكَانَ مِنَ الْغَرَابَةِ بِمَكَانٍ ، وَهُوَ وَاقِفٌ أَمَامَهَا بِطَبْعِهِ الْحَادِّ مُحِيطٌ بِهِ

الزُّجَاجَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِدَرَجَةٍ أَنْ أَرْتَاعَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ بِشْدَةٍ . وَلَكِنَّمَا
كَانَتْ أَمْرَاءَ حَكِيمَةً فَقَالَتْ : « أُرِيدُ إِذَا أَنْ أُعْرِفَ السَّبِّلَ الَّذِي تَعْتَقِدُ
أَنَّهُ ... »

« شِلْنِ ... أَصِيفِي شِلْنَا إِلَى فَاتُورَقِي . أَلَيْسَ الشِّلْنُ مَبْلَغًا كَافِيًا ؟ »

قَالَتْ السَّيِّدَةُ هَوْلَ : « لَا بَأْسَ . » ثُمَّ أَخَذَتْ مِفْرَشَ الْمَائِدَةِ ،
وَشَرَعَتْ تَبْسُطُهَا فَوْقَهَا .

« إِذَا كَانَ هَذَا يُرْضِيكَ ، فَمِنْ الطَّيْعِيِّ ... »

اِقْتَضَبَ عِبَارَتَهُ ، وَأَوَّلَاهَا ظَهْرَهُ ، وَجَلَسَ .

ظَلَّ الْغَرِيبُ طَوَالَ الْعَصْرِ يَعْمَلُ صَامِتًا وَالْبَابُ مَوْصَدٌ بِالْمِفْتَاحِ .
وَسَمِعَ مَرَّةً وَاحِدَةً صَوْتَ أَصْطِدَامِ الزُّجَاجَاتِ مَعًا ، كَأَنَّ السِّنْضَةَ قَدِ
أَرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ صَوْتُ تَهَشُّمِ زُجَاجٍ يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ . وَسَمِعَ
بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ خُطَوَاتٍ تَعْدُو بِسُرْعَةٍ جَيَّةٍ وَذَهَابًا فِي الْغُرْفَةِ ، وَخَشِيتِ
السَّيِّدَةُ هَوْلَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ خَطِيرًا ، فَمَضَتْ إِلَى الْبَابِ وَأَنْصَتَتْ ، دُونَ
أَنْ تَحْفَلَ بِأَنْ تَطْرُقَهُ .

وَسَمِعَتْهُ يَصِيحُ : « لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُوَاصِلَ الْعَمَلَ ! لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ

أَوَاصِلَ الْعَمَلِ ! ثَلَاثُمِئَةِ أَلْفٍ ، أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفٍ ! قَدْ يَسْتَفْرِقُ هَذَا مِنِّي
الْعُمَرُ كُلُّهُ ! الصَّبْرُ ! يَا لِي مِنْ أَحْمَقٍ ! »

وَسَمِعَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ وَقَعَ أَقْدَامُ فِي غُرْفَةِ الْإِسْتِقْبَالِ ، فَلَمْ
تَسْتَطِعِ الْبَقَاءَ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَهَا سَمِعَتْ . وَعِنْدَمَا عَادَتْ وَجَدَتْ الْغُرْفَةَ
سَاكِنَةً مَرَّةً أُخْرَى ، بِإِسْتِثْنَاءِ صَرِيرِ خَافِئٍ يَصْدُرُ عَنْ مَقْعَدِهِ ، وَرَنِينَ
زُجَاجَةٍ مِنْ حِينٍ لِأُخَرَ . لَقَدْ أَنْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ ، وَعَادَ الْغَرِيبُ يُزَاوِلُ
عَمَلَهُ .

بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، جَاءَتْهُ بِالشَّيْءِ ، وَرَأَتْ زُجَاجًا مُحَطَّمًا فِي
أَحَدِ أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا : « أَضِيفِي هَذَا أَيْضًا إِلَى
فَاتُورَةِ الْحِسَابِ . سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَلَا تُزْعِجِينِي ! وَإِذَا أَنْلَقْتُ شَيْئًا ،
فَأَضِيفِيهِ إِلَى الْحِسَابِ . »

ثُمَّ مَضَى يُوَاصِلُ الْكِتَابَةَ .

كَانَ فِيرْنَسَايِدَ وَصَاحِبُهُ تَيْدِي هَنْفِرِي فِي فُنْدُقٍ صَغِيرٍ خَارِجَ قَرْيَةِ
أَيِّنْغ . قَالَ لَهُ : « سَأَفْضِي لَكَ بِشَيْءٍ . »
سَأَلَهُ تَيْدِي هَنْفِرِي : « مَا هُوَ ؟ »

أَجَابَ : « الْغَرِيبُ ! هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، وَالَّذِي عَضُّهُ
كَلْبِي ... إِنَّهُ أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ ، أَوْ لَعَلَّ سَاقِيهِ وَخَدَّيْهِمَا عَلَى الْأَقْلُ
سَوْدَاوَانِ . لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ الْبَنْطَلُونِ وَالْقَفَازِ
الْمُمزَّقَيْنِ . طَبْعًا كَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ نَرَى شَيْئًا أَحْمَرَ اللَّوْنِ ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ مَا رَأَيْنَاهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سَوَادًا . نَعَمْ ، إِنَّهُ أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ
كَقُبْعَتِي هَذِهِ . »

قَالَ هَنْفَرِي : « يَا إِلَهِي ! إِنَّ الْأَمْرَ لَعَجِيبٌ ! إِنَّ أَنْفَهُ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ
طِلَاءٌ أَحْمَرُ اللَّوْنِ . »

قَالَ فِيرْنَسَايدَ : « هَذَا صَحِيحٌ ، وَأَعْرِفُ ذَلِكَ . وَسَأَقُولُ لَكَ مَا
أَفَكَّرْتُ فِيهِ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَسْوَدُ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ جِسْمِهِ ، وَأَبْيَضُ فِي
أَجْزَاءٍ أُخْرَى ، وَلَا يَجْرُؤُ عَلَى إظهارِ ذَلِكَ . إِنَّهُ مَوْلَدٌ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ
أَشْيَاءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . وَهَذَا أَمْرٌ شَائِعٌ فِي تَرْبِيَةِ الْخَيْلِ كَمَا تَعْرِفُ . »

الفصل الرابع السيد كاس يتحدث إلى الغريب

نادراً ما كان الغريب يخرج في النهار ، أما في المساء فقد ذأب على الخروج مُتَذَرّاً حتّى عَيْنَيْهِ ، سواء أ كان الجو بارداً أم غير باردٍ ، وكان دائماً يختارُ الطُّرُقَ الْمُتَعَزِّلَةَ . وقد فوجئَ عامِلانِ ، كانا عائِذَيْنِ إلى منزِلَيْهِما ، بِنَظَارَتِهِ وَوَجْهِهِ الْمُضْمَدِ تَحْتَ قُبْعَتِهِ السُّوداءِ الْكَبِيرَةِ ، عِنْدَمَا خَرَجَ عَلَيَّهِمَا مِنَ الظَّلامِ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ تِيْدِي هَنْفَرِي خَارِجاً فِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ أَحَدِ الْمَتَاجِرِ ، فَقَرَعَ لِوُؤَيْتِهِ رَأْسَ الْغَرِيبِ الْأَبْيَضِ الْمُسْتَدِيرِ - لِأَنَّهُ كَانَ يَمْشِي وَقُبْعَتُهُ فِي يَدِهِ - يَلْمَعُ فِي ضَوْءِ أَنْبَعَثَ فَجْأَةً مِنْ بَابِ الْمَتَجَرِ الْمَفْتُوحِ . وَلَمْ يَكُنْ وَاضِحاً مَا إِذَا كَانَ الْغَرِيبُ يَكْرَهُ الْأَوْلَادَ أَكْثَرِمَا يَكْرَهُنَّهُ ، وَلَكِنْ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ ثَمَّةَ كَرَاهِيَةٍ مُتَبَادَلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

بِطَبِيعَةِ الْحَالِ كَانَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ فِي أَيْبُنْغَ ، وَكَانُوا عَاجِزِينَ

عَنْ أَنْ يَعْرِفُوا لَهُ عَمَلًا . قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ إِنَّهُ اكْتَشَفَ أَشْيَاءَ ، وَإِنْ
حَادِثًا وَقَعَ لَهُ ، فَأَصْبَحَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى النَّاسَ وَجْهَهُ السَّمْلِيَّ بِالنَّدُوبِ
الْقَبِيحَةِ .

وَقَالَ الْبَعْضُ : « إِنَّهُ مُجْرِمٌ هَارِبٌ مِنَ الشَّرْطَةِ . » وَقَالَ آخَرُونَ :
« إِنْ بَعْضُ أَجْزَاءِ جِسْمِهِ أَبْيَضُ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ أَسْوَدُ ، وَإِنَّهُ لَوْ اخْتَارَ أَنْ
يَعْرِضَ نَفْسَهُ فِي الْأَسْوَاقِ لَجَنَى مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً . » وَظَنَّ
الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ لَا يُؤْذِي أَحَدًا . وَبَدَأَ آخِرًا بَعْضُ النِّسَاءِ
يَعْتَقِدْنَ أَنَّهُ شَبَحَ أَوْ سَاجَرَ .

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ دَائِمًا غَاضِبًا ، وَلَمْ يُظْهِرْ آيَةً مَوْدَّةٍ
لِأَحَدٍ . فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِشَوَارِعِ الْقَرْيَةِ تَحَنَّنَهُ النَّاسُ ، وَإِذَا مَضَى فِي سَبِيلِهِ
رَفَعَ الشَّبَّانُ يَاقَاتٍ مَعَاطِفِهِمْ ، وَأَرْخَوْا حَافَاتِ قُبْعَاتِهِمْ ، وَسَارُوا خَلْفَهُ
يَتَنَدَّرُونَ بِهِ . أَمَّا الدُّكْتُورُ كَاسُ فَقَدْ أَبْدَى أَهْتِمَامًا بِالضَّمَامَاتِ
وَالزُّجَاجَاتِ ، وَظَلَّ طَوَالَ شَهْرِي إِبْرَيْلِ وَمَايُو مُتَلَهِّفًا عَلَى مُحَادَثَةِ هَذَا
الْغَرِيبِ . وَآخِرًا ، فِي أَحَدِ الْأَعْيَادِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ لَا يُطِيقُ صَبْرًا ،
فَمَضَى لِمَزَارَتِهِ . وَدَهَشَ حِينَ وَجَدَ أَنَّ السَّيِّدَةَ هُوَ حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ
لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ اسْمَ ضَيْفِهِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ : « لَقَدْ ذَكَرَ لِي اسْمًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ
بُوضُوحٍ . » وَلَمْ تُكُنْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا ، فَقَدْ رَأَتْ أَنَّهُ مِنَ السُّحْفِ الْأَ
تَعْرِفَ اسْمَ الرَّجُلِ .

وَتَنَاهَى إِلَى سَمْعِ كَاسِ أَلْفَاظِ شَتَمٍ وَسِبَابٍ دَاخِلِ حُجْرَةِ
الْجُلُوسِ ، فَمَضَى إِلَى الْبَابِ وَدَقَّهُ وَدَخَلَ .

قَالَ : « أَرْجُو الْمَعْذِرَةَ لِإِفْتِحَامِي حُجْرَتِكَ . » وَأَغْلَقَ الْبَابَ
خَلْفَهُ فِي وَجْهِ السَّيِّدَةِ هُولُ .

خِلَالَ الدَّقَائِقِ الْعَشْرِ التَّالِيَةِ ظَلَّتِ السَّيِّدَةُ هُولُ تَسْمَعُ أَصْوَاتًا ،
أَعْقَبَتْهَا صَيْحَةُ دَهْشَةٍ ، ثُمَّ حَرَكَةُ أَقْدَامٍ ، وَصَوْتُ مَقْعَدٍ يُلْقَى جَانِبًا ،
وَضَحْكَةً ، وَوَقَعَ خُطَوَاتٍ تَتْبَعُهُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْبَابِ . وَظَهَرَ كَاسُ شَاجِبِ
الْوَجْهِ ، جَا حِظَّ الْعَيْنَيْنِ . وَتَرَكَ وَرَاءَهُ الْبَابَ مَفْتُوحًا ، وَاجْتَارَ الرُّذْهَةَ ،
وَهَبَطَ الدَّرَجَ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى السَّيِّدَةِ هُولُ . وَسَمِعَتْ وَقَعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ
مُسْرِعُ الْخُطَى غَبَرَ الطَّرِيقِ وَقُبْعَتُهُ فِي يَدِهِ .

كَانَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ وَاقِفَةً خَلْفَ مِنْضَدَةٍ تَتَطَلَّعُ إِلَى بَابِ حُجْرَةِ
الْجُلُوسِ الْمَفْتُوحِ ، ثُمَّ سَمِعَتْ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ يَضْحَكُ يَهْدُوهُ ،

وَطَرَقَ سَمْعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَغْبُرُ الْغُرْفَةَ . وَلَمْ يَكُنْ فِي
وُسْعِهَا أَنْ تَرَى وَجْهَهُ مِنْ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ واقِفَةً فِيهِ . وَأَغْلَقَ بَابَ
حُجْرَةِ الْجُلُوسِ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَخَيَّمَ السُّكُونُ عَلَى الْمَكَانِ مِنْ
جَدِيدٍ .

مَضَى كَاسٌ مِنْ قَوْرِهِ إِلَى بَتْنِغ ، رَجُلٌ الدِّينِ فِي الْقَرْيَةِ . وَدَخَلَ
عَلَيْهِ غُرْفَةَ مَكْتَبِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَبَدَأَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « هَلْ أَنَا مَجْنُونٌ ؟ هَلْ
أَبْدُو رَجُلًا مَجْنُونًا ؟ »

سَأَلَهُ بَتْنِغ : « مَاذَا حَدَّثَ ؟ »
« هَذَا الرَّجُلُ ... نَزِيلُ الْفُنْدُقِ ... »
« مَا شَأْنُهُ ؟ »

إِرْتَمَى الطَّيِّبُ عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ قَائِلًا : « قَدِمَ لِي شَيْئًا أَشْرَبُهُ . »
وَعِنْدَمَا هَذَأَتْ أَعْصَابُهُ ، بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ كَوْبًا مِنْ عَصِيرِ الْبُرْتُقَالِ ،
قَالَ : « لَقَدْ دَخَلْتُ حُجْرَتَهُ ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ يَدَيْهِ فِي جَيْبَيْهِ ، وَجَلَسَ
عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّي سَمِعْتُ أَنَّهُ مُهْتَمٌّ بِبَعْضِ الْمَسَائِلِ
الْعِلْمِيَّةِ ، فَرَدَّ بِالِإِيجَابِ . وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَشَاطَ

غَضَبًا . . . ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَتْ لَدَيْهِ وَرَقَةٌ . وَرَقَةٌ مُهِمَّةٌ ، بَلْ فِي غَايَةِ
الْأَهْمِيَّةِ وَالْقِيَمَةِ . وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ قَائِمَةِ بـ . . . وَسَأَلْتُهُ : هَلْ تُحْوِي
أَسْمَاءَ أَدْوِيَّةٍ ؟ فَكَانَ جَوَابُهُ : وَلَيْسَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ ؟ وَعَلَى أَيْتِهِ حَالٌ كَانَتْ
هَذِهِ الْوَرَقَةُ ذَاتَ قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ . وَقَدْ قَرَأَهَا ، وَوَضَعَهَا عَلَى الْمِنْضَدَّةِ ،
وَحَوْلَ وَجْهَهُ عَنْهَا . وَهَبَّتْ رِيحٌ فَأَطَارَتِ الْوَرَقَةُ ، وَأَلْقَتْ بِهَا فِي نِيرَانِ
الْمِذْقَاةِ وَآخَرَتْ ، وَرَأَى دُخَانَهَا يَتَصَاعَدُ فِي الْمِذْحَنَةِ . وَبَيْنَمَا كَانَ
يُحْكِي لِي هَذِهِ الْقِصَّةَ رَفَعَ ذِرَاعَهُ ، وَكَانَ كُمُهُ فَارِعًا ، وَكَانَ يُوسِعِي أَنْ
أَرَى خِلَالَ أَلْكُمِ كُلِّهِ ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي يَجْعَلُ أَلْكُمَ مَرْفُوعًا
وَمَفْتُوحًا مَا لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُهُ شَيْءٌ ؟

« سَأَلْتُهُ : " كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تُحَرِّكَ كُتْمًا فَارِعًا عَلَى هَذَا النُّحْوِ ؟ »
« فَقَالَ : " كُتْمًا فَارِعًا ؟ »

« قُلْتُ : " نَعَمْ ، كُتْمًا فَارِعًا . »

« قَالَ : " إِذَا فَهَوَ كُتْمٌ فَارِعٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ إِنَّكَ رَأَيْتَهُ كُتْمًا
فَارِعًا . »

« نَهَضَ وَاقِفًا ، فَتَهَضَّتْ مِثْلُهُ . وَأَقْبَلَ نَحْوِي فِي ثَلَاثِ خُطَوَاتٍ
بَطِيئَةٍ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِي تَمَامًا .

« قال : " هَلْ قُلْتَ إِنَّهُ كُمْ فارِغٌ " فَاجَبْتُ : " بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . " وفي هُدوءٍ تامٍّ أَخْرَجَ كُمَّهُ مِنْ جَنِيهِ ثَانِيَةً ، وَرَفَعَ ذِرَاعَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ ، كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُرِيَنِي إِيَّاهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَفَعَلَ ذَلِكَ بِطُءٍ شَدِيدٍ لِلْعَايَةِ . وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ مَبْهُورَ الْأَنْفَاسِ ، وَقُلْتُ وَأَنَا أَجْلُو صَوْتِي الْمُخْتَبَسِ :
 " نَعَمْ ، إِنَّهُ فارِغٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ . »

« بَدَأَ الْخَوْفُ يُدَاخِلُنِي ، فَقَدْ نَفَذَ بَصْرِي فِي الْكُمِّ تَمَامًا . وَفَإِذَا بِمَدِّهِ نَحْوِي مُبَاشَرَةً وَبِطُءٍ شَدِيدٍ - عَلَى هَذَا النُّحُو - حَتَّى صَارَ عَلَى بُعْدِ بَضْعَةٍ سَتِيْمَتَرَاتٍ مِنْ وَجْهِهِ . وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ كَمَا فارِغًا يَقْتَرِبُ مِنْكَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ ! وَعِنْدَيْدٍ ... »



« ثُمَّ مَاذَا ؟ »

« جَذَبَ أَنْفِي شَيْءٌ شَعَرْتُ كَأَنَّهُ سَبَابَةٌ وَلَهُمَا . »

أَخَذَ بِنَتْنِغَ يَضْحَكُ .

قَالَ كَاس : « لَمْ يَكُنْ فِي الْكُمِّ شَيْءٌ ! » وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ حَتَّى صَارَ صُرَاخًا وَهُوَ يَنْطِقُ بِكَلِمَةِ الْكُمِّ .

وَوَاصَلَ الطَّبِيبُ حَدِيثَهُ : « لَكَ أَنْ تَضْحَكَ كَمَا تَشَاءُ ، وَلَكِنِّي لَا أَكْتُمُكَ الْقَوْلَ إِنِّي كُنْتُ مَذْعُورًا ، فَضَرَبْتُ كُمَّهُ بِشِدَّةٍ ، وَاسْتَدْرْتُ وَغَادَرْتُ الْغُرْفَةَ عَذْوًا ، وَتَرَكْتُهُ ... »

تَوَقَّفَ كَاسُ عَنِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ خَائِفٌ ، وَاسْتَدَارَ فِي يَأْسٍ وَقُنُوطٍ وَصَبَّ لِنَفْسِهِ كُوبًا آخَرَ مِنْ عَصِيرِ الْبُرْتُقَالِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُوَكِّدُ لَكَ أَنِّي عِنْدَمَا ضَرَبْتُ كُمَّهُ ، شَعَرْتُ كَأَنِّي أَضْرِبُ ذِرَاعًا حَقِيقِيَّةً . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَتَيْتُ ذِرَاعًا ! »

فَكَرَّ السَّيِّدُ بِنَتْنِغَ فِي الْأَمْرِ ، وَقَالَ : « إِنَّهَا حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا . » وَبَدَتْ عَلَى مَلَاحِجِهِ عِلَامَاتُ الْحِكْمَةِ وَالْوَقَارِ وَهُوَ يُكَرِّرُ قَوْلَهُ : « إِنَّهَا حَقًّا حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا . »

الفصل الخامس

السَّرَقَةُ

وَقَعَتْ سَرَقَةٌ فِي بَيْتِ السَّيِّدِ بَنَتْنِغَ فِي السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنْ صَبَاحِ يَوْمِ
الْاِثْنَيْنِ التَّالِي لِمَهْرَجَانِ الرَّبِيعِ الَّذِي تُقِيمُهُ قَرْيَةُ أَيْنِغَ . وَيَبْدُو أَنَّ زَوْجَةَ
السَّيِّدِ بَنَتْنِغَ صَحَتْ فَجَاءَتْ فِي لَحْظَاتِ السُّكُونِ الَّتِي تَسْبِقُ شُرُوقَ
الشَّمْسِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا إِحْسَاسٌ قَوِيٌّ بِأَنَّ بَابَ حُجْرَةِ النَّوْمِ قَدْ فُتِحَ ثُمَّ
أَغْلِقَ . فِي الْبِدَايَةِ لَمْ تَوْفِظْ زَوْجَهَا ، بَلْ جَلَسَتْ فِي الْفِرَاشِ تُرْهِفُ
السَّمْعَ . ثُمَّ سَمِعَتْ بِوُضُوحٍ وَقَعَ أَقْدَامِ حَافِيَةِ آيَتِيٍّ مِنَ الْحُجْرَةِ
الْمُجَاوِرَةِ ، تَسِيرُ فِي الْمَمْشَى مُتَّجِهَةً إِلَى الدَّرَجِ . وَعِنْدَمَا أَيْقَنْتِ
الْأَمْرَ ، بَادَرَتْ إِلَى إِيقَاضِ زَوْجِهَا السَّيِّدِ بَنَتْنِغَ بِأَقْصَى مَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ
هُدُوءٍ . وَلَمْ يُشْعَلْ زَوْجُهَا الْمِصْبَاحَ ، وَلَئِنَّمَا تَنَاوَلَ نَظَارَتَهُ وَلَبَسَهَا ،
وَأَرْتَدَى خُفَّيْنِ خَفِيفَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْ حُجْرَةِ النَّوْمِ لِيُنْصِتَ . وَسَمِعَ
بِوُضُوحٍ شَدِيدٍ خُطَوَاتِ شَخْصٍ يَتَحَرَّكُ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ فِي الطَّابَقِ

الْأَرْضِيَّ ، ثُمَّ سَمِعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَطَسَةً قَوِيَّةً .

عِنْدَيْهِ عَادَ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَتَسَلَّحَ بِقَضِيْبٍ تَقْلِيْبِ النَّارِ فِي
الْمِدْفَأَةِ ، وَهَبَطَ الدَّرَجَ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ سُكُونٍ ، فِي حِينِ أَنْ
رَوْجَتَهُ وَقَفَتْ أَعْلَى الدَّرَجِ .

كَانَتْ السَّاعَةُ إِذْ ذَاكَ حَوَالَى الرَّابِعَةِ ، وَقَدْ تَبَدَّدَتْ آخِرُ ظُلُمَاتِ
الَّيْلِ . وَكَانَ يُضِيءُ الْمَشْئِي نَوْرُ خَافِتٍ ، وَرَأَى بَابَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ
مُوَارِبًا . كَانَ كُلُّ شَيْءٍ سَاكِئًا فِيمَا عَدَا صَرِيرَ الدَّرَجِ تَحْتَ قَدَمِي السَّيِّدِ
بَتْنِغٍ ، وَالْحَرَكَاتِ الْخَافِتَةِ فِي حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ . وَسَمِعَ صَوْتَ دُرْجٍ
يُفْتَحُ ، ثُمَّ خَشْخَشَةَ أَوْرَاقٍ ، وَبَعْدَهَا سَمِعَ صَوْتًا يَلْعَنُ وَيَسُبُّ ، ثُمَّ
صَوْتَ عَوْدٍ ثِقَابٍ يُشْعَلُ ، وَعِنْدَيْهِ غَمَرَتِ الْحُجْرَةُ ضَوْءً أَصْفَرًا .

كَانَ السَّيِّدُ بَتْنِغٍ وَقَتْنِذٍ فِي الرَّذْهَةِ ، وَمِنْ جِلَالِ بَابِ الْغُرْفَةِ الْمُوَارِبِ
اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الْمَكْتَبَ ، وَدُرْجًا مَفْتُوحًا ، وَشَمْعَةً مُضَاءَةً فَوْقَ
الْمَكْتَبِ . بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ أَنْ يَرَى اللَّصَّ . وَظَلَّ وَاقِفًا فِي
الرَّذْهَةِ لَا يَذْرِي مَاذَا يَفْعَلُ . أَمَّا رَوْجَتُهُ فَقَدْ تَسَلَّلَتْ وَرَاءَهُ يَبْطِئًا ، شَاجِبَةً
الْوَجْهَ جَامِدَةً الْقَسَمَاتِ .

وَسَمِعَ السَّيِّدُ بَتْنِغٍ وَرَوْجَتُهُ رَنِينَ نُقُودٍ ، وَأَذْرَكَ أَنَّ اللَّصَّ عَثَرَ عَلَى

نَفَقَاتِ الْمَنَزْلِ ، وَهِيَ جُنَيْهَانِ وَعَشْرَةُ شِلَابَاتٍ ، ذَهَبًا وَفِضَّةً . وَأَنَارَ
هَذَا الصَّوْتُ غَضَبَ السَّيِّدِ بِنْتِغَ ، فَشَدَّ قَبْضَتَهُ عَلَى قَضِيبِ تَقْلِيلِ النَّارِ ،
وَجَرَى دَاخِلًا إِلَى الْغُرْفَةِ تَتَبَعُهُ زَوْجَتُهُ .



قَالَ لَهَا : « تَعَالَيْ يَا عَزِيزَتِي ... » وَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ لِأَنَّ
الْحُجْرَةَ كَانَتْ خَالِيَةً تَمَامًا .

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا سَمِعَا شَخْصًا يَتَحَرَّكُ فِي
الْحُجْرَةِ . وَلَبِثَا وَاثِقَيْنِ نِصْفَ دَقِيقَةٍ ، أَجْتَازَتْ بَعْدَهَا السَّيِّدَةُ بَنَّتِغْ
الْحُجْرَةَ ، وَنَظَرَتْ وَرَاءَ السُّتَارِ عَلَى حِينِ نَظَرِ زَوْجِهَا تَحْتَ الْمَكْتَبِ وَفِي
دَاخِلِ الْمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ يُلَوِّحُ فِي الظُّلَامِ بِقَضِيبِ تَقْلِيلِ النَّارِ . ثُمَّ وَقَفَتْ
الْاِثْنَانِ سَاكِئَتَيْنِ وَالِدَّهْشَةَ فِي عُيُونِهِمَا .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ بَنَّتِغْ : « إِنِّي وَاثِقَةٌ تَمَامًا بِأَنَّ ... »

قَاطَعَهَا السَّيِّدُ بَنَّتِغْ قَائِلًا : « وَالشُّمْعَةُ ! مَنِ الَّذِي أَضَاءَ
الشُّمْعَةَ ؟ »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ بَنَّتِغْ : « وَالذُّرْجُ ! لَقَدْ أَخْتَفَتْ الْنُقُودُ ! »

وَأَسْرَعَتْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَيْتِ .

قَالَتْ : « مَنِ الَّذِي ... »

وَسَمِعَا عَطَسَةً قَوِيَّةً فِي الْمَمَشَى ، فَأَنْدَفَعَ الْاِثْنَانِ خَارِجَيْنِ ،
وَعِنْدَيْهِمَا أَنْصَفَقَ بَابُ الْمَطْبَخِ ، فَقَالَ السَّيِّدُ بَنَّتِغْ : « أَحْضِرِي

الشُّمْعَةُ . « ثُمَّ مَشَى أَمَامَهَا .

وَلَمَّا فَتَحَ بَابَ الْمَطْبَخِ رَأَى الْبَابَ الْخَلْفِيَّ يُنْفَتِحُ ، وَضَوْءُ الشُّرُوقِ يَكْشِفُ الْحَدِيقَةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ . وَكَانَ مَوْقِنًا أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فُتِحَ الْبَابُ ، وَلَبِثَ مَفْتُوحًا بُرْهَةً ، ثُمَّ أَنْصَفَقَ بِشِدَّةٍ .

خَرَجَا إِلَى الْحَدِيقَةِ يُفْتَشَاهَا ، ثُمَّ آرَتَدَا إِلَى الْمَطْبَخِ عَائِدَيْنِ ، وَكَانَ الْمَكَانُ خَالِيًا . وَأَغْلَقَا الْبَابَ الْخَلْفِيَّ بِالْمِزْلَاجِ ، وَفَتَّشَا الْمَطْبَخَ وَجَمِيعَ الْغُرَفِ تَفْتِيشًا دَقِيقًا ، فَلَمْ يَجِدَا أَحَدًا ، وَمَعَ ذَلِكَ قَامَا بِتَفْتِيشِ الطَّابَقَيْنِ الْعُلُويِّ وَالْأَرْضِيِّ .

بَزَغَ ضَوْءُ النَّهَارِ وَالرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ يُفْتَشَانِ الْبَيْتَ عَلَى نَوْرِ الشُّمْعَةِ الدَّابِلِ .

قَالَ السَّيِّدُ بَتْنُغَ : « لَقَدْ قُلْتُ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا إِنَّهُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأَحْدَاثِ الْمُثِيرَةِ لِلدَّهْشَةِ . . . »

قَاطَعَتُهُ السَّيِّدَةُ بَتْنُغَ قَائِلَةً : « إِنَّ الْخَادِمَةَ آتِيَةٌ يَا عَزِيزِي ، فَانْتَظِرْ هُنَا حَتَّى تَدْخُلَ الْمَطْبَخَ ، ثُمَّ أَصْعَدْ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلُويِّ . »

الفصل السادس الأثاث الذي مسه الجنون

حين نَزَلَ هُولَ إِلَى الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ فِي السَّاعَاتِ الْمُبَكَّرَةِ مِنَ
الْاِثْنَيْنِ اتَّالَى لِمِهْرَجَانِ الرَّبِيعِ ، لَاحَظَ أَنَّ بَابَ حُجْرَةِ الْغَرِيبِ
مَفْتُوحٌ ، وَأَنَّ أَلْبَابَ الْأُمَامِيِّ لَمْ يَكُنْ مُغْلَقًا بِالْمِزْلَاجِ . وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ فِي
الْلَّيْلَةِ السَّابِقَةِ كَانَ تُمَسِّكًا بِالشَّمْعَةِ يُنِيرُ لِزَوْجَتِهِ الْمَكَانَ وَهِيَ تَوْصِدُ
أَلْبَابَ بِالْمِزْلَاجِ . وَلَمَّا رَأَى هَذَا وَقَفَ مَكَانَهُ ، وَرَجَعَ وَصَعِدَ الدَّرَجَ
إِلَى الطَّابَقِ الْعُلُويِّ وَدَقَّ بَابَ حُجْرَةِ الْغَرِيبِ فَلَمْ يَسْمَعْ رَدًّا . فَدَقَّ
أَلْبَابَ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ دَفَعَ أَلْبَابَ فَأَنْفَتَحَ ، وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ .

كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَوَقَّعَ : رَأَى الْفِرَاشَ خَالِيًا ، وَكَذَلِكَ الْغُرْفَةَ . وَأَغْرَبُ
مِنْ هَذَا أَنَّهُ رَأَى مَلَابِسَ الْغَرِيبِ مُتَنَازِرَةً عَلَى الْمَقْعَدِ وَعَلَى الْفِرَاشِ ،
وَهِيَ الْمَلَابِسُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يَمْلِكُهَا الضَّيْفُ - بِقَدْرِ عِلْمِهِ - وَرَأَى
كَذَلِكَ الضَّمَادَاتِ . أَمَّا قُبْعَتُهُ الْكَبِيرَةُ فَكَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى عَمُودِ السَّرِيرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ هُولَ وَاقِفًا فِي الْحُجْرَةِ سَمِعَ صَوْتَ زَوْجَتِهِ آتِيًا مِنْ
الْمَطْبَخِ فِي الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ ، فَاسْتَدَارَ وَأَسْرَعَ بِالنُّزُولِ إِلَيْهَا .
قَالَ : « جِئِي ! إِنَّهُ غَيْرُ مُوجِدٍ فِي حُجْرَتِهِ ، وَالْبَابُ الْأَمَامِيُّ غَيْرُ
مَوْصَدٍ بِالْجِزْلَاجِ . »

لَمْ تُدْرِكِ السَّيِّدَةُ هُولَ فِي الْبِدَايَةِ مَا يَزُمِي إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهَا حِينَ فَهِمَتْ
أَصْرَتْ عَلَى أَنْ تَرَى الْحُجْرَةَ الْخَالِيَةَ بِنَفْسِهَا . وَتَقَدَّمَهَا هُولَ وَهُوَ يَقُولُ :
« إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُجْرَةِ ، فَإِنَّ مَلَابِسَهُ فِيهَا . وَلَكِنْ مَاذَا عَسَاهُ يَفْعَلُ
بِغَيْرِ مَلَابِسِهِ ؟ »

حِينَ خَرَجَا مِنَ الْمَطْبَخِ خُيِّلَ إِلَيْهِمَا أَنَّهَا سَمِعَا الْبَابَ الْأَمَامِيَّ يُفْتَحُ
وَيُغْلَقُ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَأَيَاهُ مَوْصَدًا ، وَلَمْ يَرِيا شَيْئًا عِنْدَهُ ، لَمْ يَقُلْ أَحَدُ
مِنْهُمَا كَلِمَةً وَاحِدَةً لِصَاحِبِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

أَسْرَعَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ تَتَقَدَّمُ زَوْجَهَا فِي الْمَمَشَى ، وَصَعِدَتِ الدَّرَجُ
رَكْضًا . وَسَمِعَتْ شَخْصًا يَعْطُسُ عَلَى السَّلَمِ . وَكَانَ هُولَ صَاعِدًا فِي
أَعْقَابِهَا وَيَتَبَعُ عَنْهَا بَسْتُ دَرَجَاتٍ ، فَظَنَّ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَطَسَتْ . أَمَّا هِيَ -
وَهِيَ الَّتِي تَتَقَدَّمُهُ - فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَهَا هُوَ الَّذِي عَطَسَ .

دَفَعَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ بَابِ الْغُرْفَةِ بِقُوَّةٍ فَفَتَحَتْهُ ، وَوَقَفَتْ تُدِيرُ بَصَرَهَا
فِي أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ ، وَقَالَتْ : « مَا أَغْرَبَ هَذَا ! »

سَمِعَتْ سُعَالًا بَدَأَ لَهَا أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهَا ، فَاسْتَدَارَتْ ، وَأَذْهَشَهَا أَنْ
تَرَى هُولَ بَعِيدًا عَنْهَا عِنْدَ رَأْسِ السُّلَمِ ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ إِلَيْهَا بَعْدَ قَلِيلٍ .
وَأَنْحَنَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ فَوْقَ الْفِرَاشِ ، وَدَسَّتْ يَدَهَا تَحْتَ الْوِسَادَةِ ، ثُمَّ
تَحْتَ الْأَغْطِيَةِ ، وَقَالَتْ : « إِنَّ الْمَكَانَيْنِ بَارِدَانِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ قَامَ مِنْذُ
سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ . »

وَبَيْنَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ هَذَا ، حَدَثَ مَا لَمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهُ أَبَدًا : فَقَدْ جَمَعَتْ
أَغْطِيَةَ الْفِرَاشِ نَفْسَهَا ، وَتَكَوَّمَتْ فَجَاءَةً فِيهَا يُشْبِهُ تَلًّا ، ثُمَّ قَفَزَتْ بِعُنْفٍ
بَعِيدًا عَنِ الْفِرَاشِ ، كَأَنَّمَا أَلْقَتْ بِهَا يَدٌ خَفِيَّةٌ . أَمَّا قُبْعَةُ الْغَرِيبِ فَقَدْ
قَفَزَتْ مِنْ فَوْقِ عَمُودِ السَّرِيرِ ، وَطَارَتْ فِي الْهَوَاءِ ، وَأَصْطَلَمَتْ مُبَاشَرَةً
بِوَجْهِ السَّيِّدَةِ هُولَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ طَارَتْ صَابُونَةٌ مِنْ فَوْقِ الْحَوْضِ ،
وَأَلْقَى الْمَقْعَدُ أَوَّلًا يَعْطَفُ الْغَرِيبَ وَسِرْوَالَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ
مِنَ الْمَقْعَدِ ضِحْكَةٌ عَالِيَةٌ شَدِيدَةٌ الشَّبِيهِ بِضِحْكَةِ الْغَرِيبِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ
الْمَقْعَدُ بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ أَرْجُلُهُ الْأَرْبَعُ مُوجَّهَةً إِلَى السَّيِّدَةِ هُولَ ، كَأَنَّمَا
تَتَّخِذُ مِنْهَا هَدَفًا ، ثُمَّ أَنْدَفَعَتْ نَجْوَاهَا بِسُرْعَةٍ ، فَصَرَخَتْ وَوَلَّتْ هَارِبَةً .

وَأَسْتَقَرَّتْ قَوَائِمُ الْمَقْعَدِ فَوْقَ ظَهْرِهَا بِلُطْفٍ وَثَبَاتٍ ، وَدَفَعَتْ بِهَا
وَبَزَوَّجَهَا إِلَى خَارِجِ الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ أَنْصَفَقَ الْبَابُ وَرَاءَهُمَا يُعْتَفٍ ،
وَأُغْلِقَ بِالْفَتَاحِ . وَبَدَأَ أَنَّ الْمَقْعَدَ وَالْفِرَاشَ أَخْذَا يَرْقُصَانِ لِلْحُظَّةِ ،
وَفَجْأَةً سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ .

كَأَنَّ أَنْ يُغْشَى عَلَى السَّيِّدَةِ قَوْلَ وَهْيَ فِي الْمَمَشَى بَيْنَ ذِرَاعَيْ



رُؤُوسِهَا . وَاسْتَطَاعَ السَّيِّدُ هُوَ وَمِيلِي . وَكَانَتْ قَدْ ارْتَدَّتْ ثِيَابَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - أَنْ يُنْزِلَهَا إِلَى الطَّائِفِ الْأَرْضِيِّ بِصُعُوبَةٍ بِالْعَةِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ : « إِنَّمَا أَرْوَاحُ ! إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهَا أَرْوَاحُ ! لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْهَا فِي الصُّحُفِ . مَوَائِدُ وَمَقَاعِدُ تَرْقُصُ وَتَتَطَايَرُ ! »

وَوَاصَلَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً : « أَغْلِقِي دُونَهُ الْبَابَ ، وَلَا تَدْعُهُ يَرْجِعُ مَرَّةً أُخْرَى ... لَقَدْ خَمَنْتُ ذَلِكَ تَقْرِيْبًا ... كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَعْرِفَ هَذَا ... هَذِهِ الْعُيُونُ ، وَهَذَا الرَّأْسُ الْمُضْمَدُ ، وَعَدَمُ قِيَامِهِ بِالصَّلَاةِ ... وَكُلُّ هَذِهِ الرُّجَاجَاتِ ... لَقَدْ أَسْكَنَ الْأَرْوَاحَ الْأَثَاثَ ... يَا إِلَهِي ! أَتَأْتِي الْقَدِيمَ الْغَالِي ! لَقَدْ كَانَتْ أُمِّي الْعَزِيزَةُ مُعْتَادَةً أَنْ تَجْلِسَ عَلَى هَذَا الْمَقْعَدِ عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرَةً ، وَالْآنَ يَرْتَفِعُ فِي وَجْهِي ! »

وَأَرْسَلَا مِيلِي عَبْرَ الشَّارِعِ لِتَوْقِظَ السَّيِّدَ سَانْدِي وَذَجَرَزَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ صَبَاحًا .

كَانَ السَّيِّدُ وَذَجَرَزَ رَجُلًا ذَكِيًّا خَصِيفًا .

قَالَ : « إِنَّهُ سِحْرٌ . »

وَحِينَ جَاءَ إِلَى الْفُنْدُقِ كَانَ مُنْزَعَجًا لِلْغَايَةِ . وَسَأَلَاهُ أَنْ يَضَعَهُ إِلَى

الْغُرْفَةِ فِي الطَّابِقِ الْأَعْلَى ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ مُتَأَنِّيًا مُتَبَاطِئًا ، وَآثَرَ أَنْ يَتَحَدَّثَ
إِلَيْهِمَا فِي الْمَمْشَى . وَعِنْدَئِذٍ جَاءَ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ ، وَشَارَكَهُمْ الْحَدِيثَ .
وَجَرَى جَوَارَ طَوِيلٌ ، دُونَ عَمَلِ شَيْءٍ .

قَالَ السَّيِّدُ سَانْدِي وَدَجَرَزُ : « فَلْنُسْتَعْرِضِ الْحَقَائِقَ أَوَّلًا ، وَلْنَتَأَكَّدْ
مِنْ أَنَّنَا عَلَى صَوَابٍ إِذَا اقْتَحَمْنَا بَابَ الْغُرْفَةِ . »

وَفَجْأَةً ، وَبِطَرِيقَةٍ تُشِيرُ الدَّهْشَةَ ، فُتِحَ بَابُ الْغُرْفَةِ فِي الطَّابِقِ الْأَعْلَى
مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ رَأَوْا الْغَرِيبَ يَهِيْطُ الدَّرَجَ مُتَلَفِّعًا كَعَادَتِهِ ، وَهُوَ
يُحْمِلِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِ نَظَارَتِهِ الْكَبِيرَةِ . وَكَانَ يَنْزِلُ يَبْطِئُ وَجْهًا
مُحْمِلِقًا طَوَالَ الْوَقْتِ . وَاجْتَاَزَ الْمَمْشَى وَهُوَ لَا يَزَالُ يُحْمِلِقُ إِلَيْهِمْ ،
ثُمَّ تَوَقَّفَ .

دَخَلَ الْبَهْوُ ، وَفَجْأَةً أَغْلَقَ أَلْبَابَ فِي وُجُوهِهِمْ غَاضِبًا . لَمْ يَتَفَوَّهْ
أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى تَلَاشَى صَدَى أَنْصِفَاقِ أَلْبَابٍ ، وَرَاحَ كُلُّ مِنْهُمْ
يَتَفَرَّسُ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

قَالَ السَّيِّدُ وَدَجَرَزُ : « لَمْ أَرَ فِي حَيَاتِي شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . . . »
بَدَأَ أَشَدَّ انْزِعَاجًا عَنْ ذِي قَبْلُ . وَقَالَ مُوجَّهًا الْحَدِيثَ إِلَى السَّيِّدِ
هُوَ :

« لَوْ أَنِّي مَكَانُكَ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَحَدَّثْتُهُ فِي الْأَمْرِ . . . يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَهُ

إيضاحاً . »

وَتَطْلُبُ الْأَمْرُ بَعْضَ الْوَقْتِ مِنَ السَّيِّدِ هُوَ لِيَقُومَ بِالسُّمُومَةِ . وَقَرَعَ

الْبَابَ أَخِيرًا وَفَتَحَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ ، وَلَمْ يَزِدْ فِي قَوْلِهِ عَلَى : « مَعْدِرَةٌ ! »

فَقَالَ لَهُ الْغَرِيبُ : « إِذْهَبْ إِلَى الْجَحِيمِ ! وَأَقْبِلْ هَذَا الْبَابَ

وَرَاءَكَ ! »

وَكَانَ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ.

الفصل السابع إنكشاف أمر الغريب

في الخامسة والنصف صباحاً دخل الغريب إلى ردة فنذق " العربة
والجياذ " ، ولبت هناك حتى منتصف النهار ، وأستأثر من حوله
مُسَدَلَّة ، وألباب مغلقة ، ولم يقترب منه أحد .

لم يتناول شيئاً من الطعام طوال ذلك الوقت . ودق الجرس
ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة جاءت الدقة عالية وطويلة ؛ ومع ذلك
لم يلب يداءه أحد .

قالت السيدة هول : « ألم يقل لنا أن نذهب إلى الجحيم ؟ »

وفي الحال بلغهم نبأ السرقة التي وقعت في منزل السيد بنتنغ ،
فجعلهم هذا النبأ يفكرون . ومضى هول وودجزز للبحث عن السيد
شكلفورث لإستشارته في الأمر . ولم يصعد أحد إلى الطابق الأعلى ،
ولم يعرف أحد ما كان يفعله الغريب . وكان يذرع الأرض من حين

لَاخِرَ حَيَّةٍ وَذَهَابًا بِخُطَى سَرِيعةٍ ، وَسَمِعُوهُ يَلْعَنُ سَاخِطًا ، وَيُمَزِّقُ
أُورَاقًا ، وَيُهَشِّمُ رُجَاجَاتٍ .

وَزَادَ عَدَدُ الْجَمَاعَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَجَاءَتِ السَّيِّدَةُ هَكَسْتَرُ ، وَأَنْضَمَّ
إِلَيْهِمْ بَعْضُ الشُّبَّانِ . وَأَنهَالَ سَيْلٌ مِنْ أَسْئَلَةٍ لَا جَوَابَ لَهَا . وَحَاوَلَ
الشَّابُّ أَرْكِي هَارَكَرَ أَنْ يَخْتَلِسَ النَّظَرَ مِنْ تَحْتِ السُّتَائِرِ الْمُسَدَّلَةِ ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَى شَيْئًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْضَمَّ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ
جَمْعٌ آخَرٌ مِنْ شَبَابٍ أَيْبَغَ .

وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ الْغَرِيبُ فِي ظِلَامِ الْبَهْوِ يَشْعُرُ بِالْجُوعِ
وَالْخَوْفِ . وَكَانَ مُنْدَسًا فِي ثِيَابِهِ الدَّفَافَةِ غَيْرِ الْمُرِيحَةِ ، وَرَاحَ يُحْمِلِقُ
إِلَى أُورَاقِهِ مِنْ جَلَالِ نَظَارَتِهِ الْقَاتِمَةِ ، أَوْ يَهْزُ رُجَاجَاتِهِ الْقَدِرَةَ ، أَوْ يَلْعَنُ
الصَّبِيَّةَ الَّذِينَ يَتَصَايَحُونَ خَارِجَ النُّوَافِدِ . وَكَانَ فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ بِجَانِبِ
الْمِدْفَاقَةِ حُطَامٌ سِتِّ رُجَاجَاتٍ . وَمَلَأَتْ رَائِحَةُ الْغَازِ النِّفَاضَةَ أَهْوَاءَ .

وَفَجْأَةً ، عَقِبَ الظُّهْرِ ، فَتَحَ الْغَرِيبُ بَابَ الرُّدْهَةِ ، وَرَاحَ يُحْمِلِقُ
إِلَى الْأَشْخَاصِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الْأَرْبَعَةِ الْمَوْجُودِينَ . وَنَادَى قَائِلًا :
« يَا سَيِّدَةُ هَوْل ! » فَاسْرَعَ أَحَدُهُمْ وَاسْتَدْعَاهَا .

جاءت السيِّدة هُول على الفورِ لاهِنةً قليلاً وغازِبةً للغايَةِ . وكانَ
 رَؤُوسُها لا يَزَالُ غائِباً عَنِ الْفُنْدُقِ ، وَلَكِنِّها كَانَتْ قَدْ فَكَّرَتْ فِي الْأَمْرِ
 طَوِيلًا ، وَجَاءَتْ مَعَهَا بِفَاتُورَةِ الْحِسَابِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّذْها الْغَرِيبُ .
 سَأَلَهَا : « لِمَاذَا لَمْ يُقَدِّمْ لِي طَعَامُ الْإِفْطَارِ ؟ مَا الَّذِي جَعَلَكَ
 لَا تُخَصِّرِينَ غَدَائِي ، أَوْ تَرُدِّينَ عَلَى الْجَرَسِ ؟ أَتَعْتَقِدِينَ أَنَّي يُمَكِّنُ أَنَّ
 أُعِيشَ بِلا طَعَامٍ ؟ »

أَجَابَتْهُ السَّيِّدَةُ هُول : « لِمَ لَمْ تَدْفَعْ لِي حِسَابِي ؟ هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ
 أُعْرِفَهُ . »

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِنِّي أَنْتَظِرُ وَصُولَ بَعْضِ
 أَمَالٍ ... ؟ »

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِنِّي لَنْ أَنْتَظِرَ ؟ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَشْكُو
 إِذَا تَأَخَّرَ فَطُورُكَ قَلِيلًا ، عَلَى حِينٍ تَأَخَّرْتَ أَنْتَ فِي دَفْعِ الْحِسَابِ
 خَمْسَةَ أَيَّامٍ . »

كَانَ جَوَابُ الْغَرِيبِ أَنْ سَبَّ وَلَعَنَ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُول : « إِنِّي لَأَكُونُ مُتَمَنِّةً لَكَ يَا سَيِّدِي إِذَا اخْتَفَضَتْ

لِنَفْسِكَ بِسَبَابِكَ وَلَعْنَاتِكَ . »

مَضَى الْغَرِيبُ يَقُولُ : « اِسْمَعِي يَا سَيِّدَتِي الطَّيِّبَةُ ... »

بَيِّنْدُ أَنَّهَا قَاطَعَتُهُ قَائِلَةً : « لَا تَقُلْ لِي يَا سَيِّدَتِي الطَّيِّبَةُ . »

« لَقَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّ نُقُودِي لَمْ تَصِلْ بَعْدُ . »

قَالَتْ السَّيِّدَةُ هُوَ : « نُقُودُكَ حَقًّا ! »

« إِنَّ مَا فِي جَيْبِي لَا يَتَجَاوَزُ ... »

« إِنَّكَ أَخْبَرْتَنِي مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ سِوَى جُذْبَةٍ . »

« هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي وَجَدْتُ نُقُودًا أُخْرَى . »

قَالَتْ السَّيِّدَةُ هُوَ : « إِنِّي لَأَتَسَاءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَهَا ؟ »

دَقَّ الْأَرْضُ بِقَدَمِهِ غَاضِبًا وَقَالَ : « مَاذَا تَقْصِدِينَ ؟ »

« أَقْصِدُ أَنَّنِي أَتَسَاءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَهَا ؟ وَقَبْلَ أَنْ تُسَدِّدَ الْحِسَابَ ،

وَقَبْلَ أَنْ أُعِدَّ لَكَ فَطُورَكَ ، وَقَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ،

يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِأَمْرٍ أَوْ أَمْرَيْنِ مَا زِلْتُ لَا أَفْهَمُهُمَا ، وَمَا زَالَ غَيْرِي أَيْضًا

لَا يَفْهَمُهُمَا ، وَالْجَمِيعُ يَتَلَهَّفُونَ عَلَى أَنْ يَفْهَمُوا . أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ

خَرَجْتَ مِنْ غُرْفَتِكَ ، وَكَيْفَ عُدْتَ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى ؟ إِنَّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
 فِي هَذَا الْفُنْدُقِ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ - بَلَّكَ هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي
 هَذَا الْفُنْدُقِ - وَهَذَا مَا لَمْ تَفْعَلْهُ أَنْتَ . . . وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهُ هُوَ : كَيْفَ
 دَخَلْتَ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ . . . »

فَجَاءَهُ رَفَعَ الْغَرِيبُ قَبْضَتَهُ الْمَكْسُوءَةَ بِالْقُفَّازِ وَدَقَّ الْأَرْضَ بِقَدَمِهِ
 قَائِلًا : « كَفَى ! »

أَطْلَقَهَا بِصَوْتٍ عَالٍ جِدًّا مِمَّا أَسْكَنَتْهَا عَلَى الْفَوْرِ .

« إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ مَنْ أَنَا وَمَاذَا أَعْمَلُ ، وَلَكِنِّي سَأَكْشِفُ لَكَ كُلَّ
 شَيْءٍ ، بِحَقِّ السَّمَاءِ سَابِئِينَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ . »

عِنْدَئِذٍ وَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَبْعَدَهَا ، فَإِذَا وَجْهُهُ مُجَرَّدٌ
 تَجْوِيفٌ أَسْوَدَ ، وَقَالَ : « هَيَّا أَنْظُرِي ! » ثُمَّ خَطَا إِلَى الْأَمَامِ نَاجِيَتَهَا ،
 وَنَاوَلَهَا شَيْئًا فَأَخَذَتْهُ دُونَ أَنْ تَبْعِيَ مَا هُوَ ؛ إِذْ كَانَتْ تُحْمِلِقُ إِلَى وَجْهِهِ ،
 وَلَكِنْ عِنْدَمَا فَطِنَتْ إِلَى مَا هِيَ هَذَا الشَّيْءُ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً ، وَأَلْقَتْهُ
 مِنْ يَدَيْهَا . . . كَانَ هَذَا الشَّيْءُ أَنْفًا - أَنْفُ الْغَرِيبِ ! أَنْفًا قَانِيًا أَحْمَرَ
 اللَّوْنِ ! وَتَدَخَّرَجَ الْأَنْفُ عَلَى الْأَرْضِ بِصَوْتٍ يُشْبِهُ صَوْتَ الْوَرَقِ
 الْمَقْوَى الْأَجْوَفِ .



ثُمَّ رَفَعَ نَظَارَتَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَخَفَقَتْ قُلُوبُ مَنْ فِي الْبُهِرِ ، وَتَسَارَعَتْ
أَنْفَاسُهُمْ ، ثُمَّ خَلَعَ قُبْعَتَهُ ، وَنَزَعَ لِحْيَتَهُ ، وَكَذَلِكَ الْأَضْمَادُ الَّتِي
تُحْجَبُ وَجْهَهُ .

كَانَ الْمَشْهُدُ أَمَامَهُمْ أَسْوَأَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ . وَجَرَتْ
السَّيِّدَةُ هُولَ صَوْبِ بَابِ الْفُنْدُقِ وَقَدْ فَعَرَتْ فَاها مِنْ الرُّغْبِ .

بَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ يَتَحَرَّكُ ، وَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَرَوْا
نُدُوبًا ، أَوْ جُروحًا ، أَوْ شَيْئًا دَمِيئًا مُقَرَّرًا ، وَلَكِنْ كَانَ كُلُّ مَا رَأَوْهُ - لَا

شَيْءٌ !

تَطَايَرَتِ الضَّمَادَاتُ وَالشُّعْرُ الْمُسْتَعَارُ عَبْرَ الْمَمَشَى إِلَى نَاجِيَةِ
الرُّدْهَةِ ، وَتَسَاقَطَ الْحَاضِرُونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَذَلِكَ الَّذِي كَانَ
يَقِفُ أَمَامَهُمْ مُتَتَبِعًا - يَزَعِقُ وَيَصْرُخُ - كَانَ رَجُلًا حَتَّى مَنَكِبَيْهِ ، وَبَعْدَ
ذَلِكَ لَا شَيْءَ !

تَنَاهَتْ الصَّرَخَاتُ إِلَى أَسْمَاعِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَمَضَوْا يَسْتَطْلِعُونَ
الْأَمْرَ عَبْرَ الطَّرِيقِ ، فَرَأَوْا الْقَوْمَ يَتَدَافَعُونَ مُنْطَلِقِينَ مِنَ الْفُنْدُقِ ،
وَشَاهَدُوا السَّيِّدَةَ هُولا تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالسَّيِّدَ تَيْدِي هَنْفِرِي يَفْقِرُ
حَتَّى لَا يَسْقُطَ فَوْقَهَا ، ثُمَّ سَمِعُوا صُرَاخَ مَيْبِلِي الْمُرْعَبِ وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ
الْمَطْبَخِ رَاكِضَةً عَلَى صَوْتِ الْجَلْبَةِ الَّتِي سَمِعَتْهَا ، حَتَّى إِذَا رَأَتْ
الْغَرِيبَ إِنْسَانًا بِلَا رَأْسٍ ؛ سَكَتَتْ صَرَخَاتُهَا فَجَاءَتْ .

وَاحْتَشَدَ أَمَامَ بَابِ الْفُنْدُقِ كُلُّ مَنْ فِي الْقَرْيَةِ : الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ ؛
وَكَانُوا حَوَالَى أَرْبَعِينَ شَخْصًا .

« مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ ؟ »

« لَقَدْ هَاجَمَهُمْ بِسِكِّينٍ . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ الْفَتَاةَ تَصْرُخُ . »

« أَوْكُذْ لَكُمْ أَنَّهُ يَغْيِرُ رَأْسِ . »

« هُراء ! كلامٌ فارغ ! »

« لَقَدْ أزالَ الضَّماداتِ . »

كانوا جميعًا يتحدَّثونَ في آنٍ واحدٍ . وَفَجأةً ظَهَرَ السَّيِّدُ هُولَ قَادِمًا ،
وَكَانَ وَجْهُهُ شَدِيدَ الْإِحْمِرَارِ ، تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْعَزَمِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ
السَّيِّدُ بُوِي جِيْفِرْزُ الشَّرْطِيَّ الْقَرِيَّةَ ، يَتَّبَعُهُ السَّيِّدُ وَدَجَرَزُ الْوَقُورُ .

إِزْتَقَى السَّيِّدُ هُولَ دَرَجَ الْفُنْدُقِ ، وَمَشَى صَوْبَ بَابِ الرَّدْهَةِ ،
فَوَجَدَهُ مَفْتُوحًا ، قَالَ : « قُمْ بِوَاجِبِكَ أَيُّهَا الشَّرْطِيُّ . »

دَخَلَ جِيْفِرْزُ إِلَى الرَّدْهَةِ ، وَتَبِعَهُ هُولَ ، وَمِنْ وَرَائِهِمَا وَدَجَرَزُ . وَرَأَوْا
أَمَامَهُمُ الشَّيْخَ الَّذِي يَغْيِرُ رَأْسِهِ ، وَفِي قَبْضَتِهِ الْمَكْسُوءَةُ بِالْقَفَّازِ لُقْمَةٌ مِنْ
الْخُبْزِ ، وَفِي الْيَدِ الْأُخْرَى قِطْعَةً مِنَ الْجُبَنِ .

قَالَ هُولُ : « هَا هُوَ ذَا ! »

انْبَعَثَ صَوْتُ غَاضِبٍ مِنْ فَوْقِ يَاقَةِ الشَّيْخِ يَقُولُ : « تَبًّا لَكُمْ ! مَا
هَذَا ؟ »

قَالَ الشَّرْطِيُّ جِيْفِرْزُ : « نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، يَجِبُ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْكَ

بِرَأْسٍ كُنْتُ أَوْ بغيرِ رَأْسٍ . »

صَاحَ الْغَرِيبُ وَهُوَ يَقْفِزُ إِلَى الْوَرَاءِ : « ابْتَئِدْ عَنِّي ! »

وَحَلَعَ الْغَرِيبُ قُفَّازَهُ ، وَلَطَمَ بِهِ وَجْهَ الشَّرْطِيِّ ، وَفِي اللَّحْظَةِ
التَّالِيَةِ أَمْسَكَ جِيفِرُزُ بِرُسْغِهِ الَّذِي لَا يَدَ لَهُ ، كَمَا قَبَضَ عَلَى عُنُقِهِ
الْخَفِيِّ ، وَتَلَقَّى الشَّرْطِيُّ رَكْلَةً عَنيفَةً جَعَلَتْهُ يَتَأَوَّهُ مُتَأَلِّمًا ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ
مُتَشَبِّهًا بِغَرِيمِهِ ، وَأَصْطَدَمَا بِمَقْعَدٍ فِي طَرِيقِهِمَا فَسَقَطَ وَأَحْدَثَ صَوْتًا
عَالِيًا عِنْدَمَا هَوَى الْإِثْنَانِ عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ جِيفِرُزُ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ يُخَاطِبُ الرُّجَالَ الْآخَرِينَ : « أَمْسِكُوا
بِقَدَمَيْهِ . »

وَحَاوَلَ هُوَ أَنْ يُلَبِّيَ هَذَا الْأَمْرَ ، بَيِّدَ أَنَّهُ تَلَقَّى رَكْلَةً فِي صَدْرِهِ
كَادَتْ أَنْ تُفْقِدَهُ الْوَعْيَ . وَحِينَ رَأَى السَّيِّدُ وَدَجَرَزَ الْغَرِيبَ الَّذِي بِلا
رَأْسٍ يَتَدَخَّرُجُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْتُمُّ عَلَى صَدْرِ جِيفِرُزَ ، أَرْتَدَّ إِلَى
الْخَلْفِ صَوَّبَ أَلْبَابٍ ؛ فَأَصْطَدَمَ بِالسَّيِّدِ هَكَسْتَرُ وَبِرْجُلٍ آخَرَ كَانَ قَادِمًا
لِمُسَاعَدَةِ الشَّرْطِيِّ . وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَرْبَعُ رُجَاجَاتٍ وَتَهَشَّمَتْ ،
وَفَاحَتْ فِي الْغُرْفَةِ رَائِحَةٌ قَوِيَّةٌ نَفَازَةٌ .



وَرَغِمَ أَنْ الْغَرِيبَ كَانَ قَدْ طَرَحَ جِيفَرُزَ عَلَى الْأَرْضِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ :
« إِنِّي أَسْتَسْلِمُ . »

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ هَبَّ وَاقِفًا مَبْهُورَ الْأَنْفَاسِ ، وَتَرَأَى الْمَشْهُدَ
عَجِيبًا ، وَهُوَ بِغَيْرِ رَأْسٍ أَوْ يَدَيْنِ ، أَمَّا صَوْتُهُ فَبَدَا كَأَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ فَرَاغٍ .
وَنَهَضَ جِيفَرُزُ أَيْضًا وَاقِفًا .

وَمَرَّرَ الْغَرِيبُ ذِرَاعَهُ عَلَى سُتْرَتِهِ ، وَأَنْفَكَّتْ أَزْرَارُهَا ، ثُمَّ أَنْحَنَى عَلَى

الْأَرْضِ ، وَبَدَا كَأَنَّهُ يَلْمِسُ جِدَاءَهُ .

قَالَ هَكَسْتَرُ فَجَاءَهُ : « يَا إِلَهِي ! لَيْسَ هَذَا بِرَجُلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ !
إِنَّ الْمَلَائِسَ خَاوِيَةٌ ! انْظُرُوا ! لَوْ أَنَّكُمْ نَظَرْتُمْ مِنْ خِلَالِ يَاقَتِهِ لَرَأَيْتُمْ
الْأَرْضَ . إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُدْخِلَ ذِرَاعِي ... »

وَبَسَطَ يَدَهُ أَمَامَهُ ، وَبَدَا أَنَّهَا أَصْطَدَمَتْ بِشَيْءٍ فِي الْهَوَاءِ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ
إِلَّا أَنْ سَحَبَهَا وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةً حَادَّةً مِنَ الدَّهْشَةِ .

وَصَاحَ صَوْتُ فِي نَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ : « أَزْجُوكَ أَنْ تُبْعِدَ أَصَابِعَكَ عَنْ
عَيْنِي . فَالْوَاقِعُ أَنَّنِي كُلِّي مَوْجُودٌ هُنَا ، رَأْسِي وَيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ ، وَكُلُّ مَا بَقِيَ
مِنِّْي ، وَلَكِنْ حَدَّثَ أَنْ أَصْبَحْتُ خَفِيًّا لَا أَرَى . وَلَيْسَ هَذَا مُبَرَّرًا لِكَيْ
تَدُسَّ أَصَابِعَكَ فِي عَيْنِي ، أَمْ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

كَانَتْ السُّتْرَةُ وَقْتُهَا وَاقِفَةً مُتَّصِبَةً وَهِيَ مَفْكُوكَةُ الْأَرْزَارِ .
وَجَاءَ إِلَى الْغُرْفَةِ عَدَدُ آخَرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى أَصْبَحَتْ مُزْدَحِمَةً .
صَاحَ هَكَسْتَرُ سَاخِرًا : « خَفِيٌّ ! أَمْ سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ كَهَذَا مِنْ
قَبْلُ ؟ »

قَالَ الصُّوتُ : « لَعَلَّ الْأَمْرَ غَرِيبٌ مُذْهِلٌ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ جَرِيمَةً ،

فَلِمَاذَا يُهَاجِنِي الشَّرْطِيُّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؟

قَالَ جِيفَرَزُ : « لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَظُنُّ . إِنِّي فِي الْحَقِيقَةِ لَا أَرَاكَ ، وَلَكِنْ لَدَيَّ أَمْرٌ بِاعْتِقَالِكَ ، لَيْسَ لَأَنَّكَ لَا تُرَى ، وَلَئِنَّمَا لِأَنَّ بَيْتًا سُرِقَ . »
« وَمَاذَا إِذَا ؟ »

« يَبْدُو أَنَّ ... »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . « هُرَاءُ ! كَلَامٌ فَاوِغُ ! »

« هَذَا مَا أَرْجُوهُ يَا سَيِّدِي . وَلَكِنْ لَدَيَّ أَوَامِرِي . »

وَفَجْأَةً جَلَسَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدُ أَنْ يَمْنَعَهُ كَانَ قَدْ قَذَفَ إِلَى الْأَرْضِ بِجَمِيعِ ثِيَابِهِ عِدا الْقَمِيصِ .
صَاحَ جِيفَرَزُ فَجْأَةً : « كُفَّ عَنْ هَذَا ! إِمْنَعُوهُ ! إِنَّهُ إِذَا خَلَعَ قَمِيصَهُ ... »

صَاحَ كُلُّ مَنْ فِي الْغُرْفَةِ : « أَمْسِكُوهُ . »

وَأَنْدَفَعُوا جَمِيعًا نَاحِيَةَ الْقَمِيصِ الْأَبْيَضِ ، وَكَانَ هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي أَمَكْنَ رُؤْيَتَهُ مِنَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ .

وَلَطَمَ كُمُ الْقَمِيصِ وَجْهَهُ هَوَلٌ لَطْمَةً عَنِيفَةً دَفَعَتْهُ إِلَى الْوَرَاءِ ،

فَاصْطَلَمَ بِالْعَجُوزِ تُوسَمَ مُتَعَهِّدٍ ذَفْنِ الْمَوْتِ ، وَفِي اللَّحْظَةِ النَّالِيَةِ كَانَ
الْقَمِيصُ قَدْ رُفِعَ إِلَى أَعْلَى ، مِثْلَمَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ عِنْدَمَا يَهُمُّ بِخَلْعِ
قَمِيصِهِ . وَهَجَمَ جِيْفِرُزَ عَلَى الْقَمِيصِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ
إِلَّا فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَى إِنْتِامِ خَلْعِهِ . وَتَلَقَّى جِيْفِرُزُ فِي فَكِّهِ لَكْمَةً جَاءَتْهُ مِنَ
الْهَوَاءِ ، فَسَحَبَ هِرَاوَتَهُ وَضَرَبَ بِهَا ، فَأَصَابَ أُمَ رَأْسِ هُنْفِرِي . وَأَخَذَ
كُلَّ وَاحِدٍ يَصِيحُ : « اِنْتَبِهْ ! » وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَضْرِبُ لَا شَيْءَ . وَتَعَالَتْ
أَصْوَاتُ الْجَمِيعِ : « أَمْسِكُوهُ ! أَقْفِلُوا الْبَابَ ! إِيَّاكُمْ أَنْ يَهْرُبَ ! لَقَدْ
أَمْسَكْتُ شَيْئًا ! هَا هُوَ ذَا ! » وَكَانُوا يَضْرِبُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَخَذَ كُلُّ
مِنْهُمْ يَقَعُ فَوْقَ الْآخِرِ . وَفَتَحَ سَانْدِي وَذَجَرَزَ الْبَابَ فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ
خَارِجَهُ . وَاسْتَمَرَّتِ الضَّرَبَاتُ ، وَكُسِرَتْ سِنُّ أَحَدِهِمْ ، وَتَوَرَّمَتْ أُذُنُ
آخَرَ . وَأَصَابَتْ فَكَّ جِيْفِرُزَ لَكْمَةً شَدِيدَةً ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَتَحَسَّنَ الْهَوَاءَ ،
وَلَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا جَامِدًا يَقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَكْسَتَرِ ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ
الْمُتَصَارِعُونَ الْمُهْتَاجُونَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الرَّدْعَةِ .

وَأَتَقَلَّبَتِ الْمَعْرَكَةُ سَرِيعًا إِلَى بَابِ الْفُنْدُقِ . وَتَعَالَتْ صَوِّحَاتُ
مُهْتَاجَةٍ : « أَمْسِكُوهُ ! رَجُلٌ خَفِيٌّ ! » وَأَنْدَفَعَ شَابٌّ غَرِيبٌ عَنِ
الْمِنْطَقَةِ ، وَهَجَمَ كَغَيْرِهِ مُشَارِكًا فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَلَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا

وَأَمْسَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَفَلَتَتْ أَصَابِعُهُ مَا تَشَبَّثَ بِهِ ، ثُمَّ إِذَا بِهِ طَرِيحٌ فَوْقَ
جِسْمِ رَجُلٍ آخَرَ ، وَعَلَى بُعْدٍ مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ عَبْرَ الشَّارِعِ صَرَخَتْ
أَمْرَأَةٌ ؛ إِذْ أَحْتَكَّ شَيْءٌ بِهَا وَلَكِنْ دُونَ أَنْ تَرَاهُ . وَجَرَى أَحَدُ الْكِلَابِ وَهُوَ
يَعْوِي بِشِدَّةٍ وَدَخَلَ إِلَى فِنَاءٍ هَكَسَتْ . وَهَكَذَا ذَهَبَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ .
وَمَرَّتْ بُرْهَةٌ وَالْقَوْمُ لَا يَعْرِفُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ، ثُمَّ رَاحُوا يَجْرُونَ
مُسْتَسِينَ مِثْلَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ عِنْدَمَا تُشْتَتَّى الرِّيحُ ، عَلَى حِينِ ظُلٍّ جَيْفِرُزْ
طَرِيحًا بِلا حَرَاكٍ عَلَى دَرَجِ السُّلَمِ .

الفصل الثامن في الطريق

خَلَعَ السَّيِّدُ توماس مارِثِلَ - وَهُوَ أَفَاقُ - جِذَاءَهُ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ
الطَّرِيقِ يُبْرِدُ قَدَمَيْهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِهَا بِحَسْرَةٍ .

وَكَانَ جِذَاؤُهُ خَيْرَ مَا لَيْسَ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَكْرَهُهُ
لِقُبْحِ شَكْلِهِ وَعَدَمِ مُلَاءَمَةِ حَجْمِهِ لِقَدَمَيْهِ . وَقَالَ لِنَفْسِهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ
أَقْبَحُ جِذَاءٍ فِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . »

وَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ : « إِنَّهُ جِذَاءٌ عَلَى آيَةٍ حَالٍ . »

قَالَ مارِثِلُ مُوَافِقًا : « نَعَمْ ، وَقَدْ جَادَ عَلَيَّ بِهِ الْبَعْضُ ، غَيْرَ أَنَّ
حَجْمَهُ أَكْبَرَ مِمَّا يَنْبَغِي ، وَقَدْ سَيِّئْتُهُ . وَهَذَا مَا جَعَلَنِي أُسْتَجْدِي
النَّاسَ أُحْذِيَةً أُحْذِيَةً أُحْذِيَةً . . فِي كُلِّ مَكَانٍ أُرْتَادُهُ . وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ
جِذَاءً عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسْتَعِينِي عَنْهُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « هَذَا غَرِيبٌ ! »

« مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَأَنَا أُسْتَجْدِي الْأَحْذِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ ، وَقَدْ
حَصَلْتُ عَلَى جَمِيعِ أَحْذِيَّتِي مِنْ هُنَا . وَالْآنَ أَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْجِذَاءِ ،
إِنَّهُ أَحْسَنُ مَا قَدَّمُوهُ لِي . »

وَأَدَارَ رَأْسَهُ لِيَرَى جِذَاءَ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يَجِدْ شَيْئًا . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ جِذَاءٍ ، وَلَا سَاقَانِ ، وَلَا شَيْءٍ .

تَسَاءَلَ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَلَمْ يَكُنْ يَرَى سِوَى الطَّرِيقِ ،
وَالْخَلَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٍ لِإِنْسَانٍ سِوَى نَفْسِهِ .

قَالَ : « أَ تُرَانِي جِئْتُ ؟ لَا رَبِّبَ أَنَّنِي أَتَّحِيلُ شَيْئًا . »

أَجَابَهُ الصَّوْتُ : « كَلَّا ، إِنَّكَ لَسْتَ مَجْنُونًا ، وَلَا تَتَّحِيلُ
شَيْئًا . . لَا تَخَفْ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْفُل : « أَخَافُ . . أَخَافُ . . . تَعَالِ هُنَا . . أَيْنَ
أَنْتَ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « لَا تَخَفْ . »

« بَلْ سَتَخَافُ أَنْتَ حَالًا . دَعْنِي أُمِسِّكَ . أَمْحَتَبِي أَنْتَ فِي حُفْرَةٍ

تَحْتَ الْأَرْضِ ؟ »

وَلَمْ يَسْمَعْ جَوَابًا .

وَشَرَعَ السَّيِّدُ مَارْفُلَ يَرْتَدِّي مِعْطَفَهُ .

قَالَ : « أَتَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْسِمَ بِأَنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا . »

« إِنَّكَ فِعْلًا سَمِعْتَ صَوْتًا . »

قَالَ مَارْفُلَ وَهُوَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَيَمَسُّحُ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ : « هَا هُوَ ذَا

مَرَّةً أُخْرَى . لَا شَكَّ أَنَّي جِئْتُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « لَا تَكُنْ أَحْمَقَ . »

« إِنِّي ... »

قَالَ الصَّوْتُ : « دَقِيقَةً وَاحِدَةً .. إِنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّي مُجَرَّدُ

خَيَالٍ ... خَيَالٍ فَحَسْبُ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْفُلَ وَهُوَ يَحْكُ قَفَاهُ : « وَأَيُّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ

ذَلِكَ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « حَسَنٌ جِدًّا ، سَأُرْمِيكَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تُغَيِّرَ

رَأَيْكَ . »

« وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« وَلَمْ يُجِرِ الصَّوْتُ جَوَابًا . »

وَمَرَّقَ حَجَرٌ وَهُوَ يَصْفِرُ فِي الْهَوَاءِ ، وَكَادَ يُصِيبُ كَتِفَ السَّيِّدِ
مَارِئِلَ . وَالتَّمَّتْ وَرَاءَهُ فَرَأَى حَجَرًا يَقْفِزُ إِلَى أَعْلَى فِي الْهَوَاءِ ، وَتَوَقَّفَتْ
بُرْهَةٌ مُعَلَّقًا ، ثُمَّ يَقَعُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَ أَصَابَ حَجَرٌ آخَرُ أَصَابِعَ قَدَمَيْهِ
الْعَارِيَةِ ، فَأُطْلِقَ مَارِئِلَ صَرْخَةً عَالِيَةً ، ثُمَّ أَخَذَ يَجْرِي ، وَسَقَطَ فَوْقَ
شَيْءٍ لَمْ يَرَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ لِيَسْتَرِيحَ .

قَالَ الصَّوْتُ : « وَالْآنَ ، أَلَا تَرَاهُ خَيَالًا ؟ »

وَتَحَامَلَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، بَيِّدَ أَنَّهُ
أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ فِي الْحَالِ ، وَتَدَخَّرَ عَلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى .
وَلَبِثَ مَكَانَهُ سَاعِنًا بُرْهَةً قَصِيرَةً .

قَالَ الصَّوْتُ : « إِذَا قَاوَمْتَ بَعْدَ الْآنَ ، قَذَفْتُ رَأْسَكَ بِهَذَا

الْحَجَرِ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ وَهُوَ يَجْلِسُ مُمَسِّكًا بِأَصْبُعِهِ الْمَجْرُوحِ : « لَقَدْ

قُضِيَ عَلَيَّ ... إِنِّي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا .. حِجَارَةٌ تَقْدِفُ بِنَفْسِهَا ...
حِجَارَةٌ تَتَكَلَّمُ ... لَقَدْ قُضِيَ عَلَيَّ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « الْأَمْرُ وَاضِحٌ جِدًّا . إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْزِلُ وَهُوَ يَتَأَوَّهُ أَلَمًا : « قُلْ لِي شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ . أَيْنَ
تُخْتَبِئُ ؟ كَيْفَ يَتَسَنَّى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ؟ الْحَقُّ أَنِّي لَا أَعْرِفُ . لَقَدْ
هُزِمْتُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « إِنِّي خَفِيٌّ لَا أَرَى . هَذَا هُوَ مَا أُرِيدُكَ أَنْ تَفْهَمَهُ .
« بِمَقْدُورِ أَيِّ أَمْرٍ أَنْ يَرَى هَذَا ، فَلَا دَاعِيَ لَأَنْ يَثُورَ غَضَبُكَ .
وَالآنَ أَنْبِئْنِي بِمَا أَجْهَلُ . أَيْنَ تُخْتَبِئُ ؟ »

« قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ ، وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْأَلَةُ ، وَالَّذِي أُرِيدُ
مِنْكَ أَنْ تَفْهَمَهُ هُوَ أَنَّ ...
وَقَاطَعَهُ مَارْزِلُ قَائِلًا : « وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« إِنِّي هُنَا عَلَى بُعْدِ خَمْسَةِ أَمْتَارٍ تَقْرِبًا مِنْكَ . »

« مُسْتَحِيلٌ ! إِنِّي لَسْتُ أَعْمَى . وَقَدْ تَقُولُ لِي بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّكَ لَسْتَ

سِوَى هَوَاءٍ رَقِيقٍ . »

« نَعَمْ أَنَا .. هَوَاءٌ رَقِيقٌ . وَ أَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِي . »

« مَاذَا تَقُولُ ؟ أَلَيْسَ لَكَ جِسْمٌ مَلْمُوسٌ ؟ »

« إِنِّي مُجَرَّدُ إِنْسَانٍ : جِسْمٌ صُلْبٌ ، يَخْتَاجُ طَعَامًا وَشَرَابًا ،

وَيَخْتَاجُ الْمَلَأِسَ



أَيْضًا ... وَلَكِنِّي خَفِيٌّ غَيْرُ مَرْتِيٍّ ... أَتُرَاكَ فَهَمْتَ مَا أَعْنِي ؟ جِسْمٌ
خَفِيٌّ ... خَفِيٌّ هَذَا هُوَ كُلُّ مَا هُنَاكَ .

« هَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ حَقِيقِيٌّ . »

« نَعَمْ ، إِنْسَانٌ حَقِيقِيٌّ . »

قَالَ مَارِئِيلُ : « إِذَا دَعَنِي الْإِنْسَانُ يَدَكَ . إِذَا كُنْتَ حَقِيقِيًّا فَلَنْ يَكُونَ
الْأَمْرُ غَرِيبًا . »

وَتَحَسَّسَ بِأَصَابِعِهِ الْيَدَ الَّتِي أَطْبَقَتْ عَلَى رُسْغِهِ ، ثُمَّ تَحَسَّسَ الذِّرَاعَ
حَتَّى اسْتَفْقَرَتْ أَصَابِعُهُ عَلَى الصَّدْرِ ، ثُمَّ لَمَسَتْ الْوَجْهَ الْمُلتَحِي .
وَبَدَتْ عِلَامَاتُ الدُّهْشَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَى وَجْهِ مَارِئِيلُ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « وَمَعَ ذَلِكَ ، فَلَيْسَ هَذَا بِالْأَمْرِ الشَّدِيدِ
الْغَرَابَةِ كَمَا تَظُنُّ . »

رَدَّ السَّيِّدُ توماس مَارِئِيلُ قَائِلًا : « إِنَّهُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ شَدِيدُ الْغَرَابَةِ
بِالنَّسْبَةِ لِي . وَلَكِنْ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ؟ كَيْفَ تَفْعَلُهُ ؟ »

« هَذِهِ حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَفَضْلًا عَنْ هَذَا فَإِنَّ ... »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِيلُ مُقَاطِعًا : « أَقُولُ لَكَ إِنَّ الْأَمْرَ عَجِيبٌ جِدًّا . إِنْ

لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَهُ . »

« إِنَّ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ الْآنَ هُوَ إِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ .
نَعَمْ ، أُرِيدُ الْمُسَاعَدَةَ فِي الْحَالِ . لَقَدْ اتَّقَيْتُ بِكَ فَجَاءَ وَأَنَا أَتَجَوَّلُ
عَارِي الْبَدَنِ مُجَرَّدًا مِنَ الثِّيَابِ ... لَا مُعِينَ لِي ، ثُمَّ رَأَيْتُكَ ... »

صَاحَ مَارِئِلُ : « يَا إِلَهِي ! »

« كُنْتُ أَسِيرُ وَرَاءَكَ ، وَتَوَقَّفْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُ سِيرِي ، وَتَوَقَّفْتُ مَرَّةً
أُخْرَى ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعَاوِنَنِي ،
وَأَسْتَدْرْتُ رَاجِعًا إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ أَنْتَ ، ثُمَّ ... »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ : « يَا إِلَهِي ! هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا تَشْعُرُ بِهِ
وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ وَأَيُّ عَوْنٍ تَحْتَاجُهُ أَتَيْهَا الْخَفِيُّ ؟ »

أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي الْحُصُولِ عَلَى ثِيَابٍ وَمَأْوَى ، ثُمَّ بَعْضِ
الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى . لَقَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ أَطْوَلَ مَسَامٍ يَنْبَغِي . . . أَمَّا إِذَا
كُنْتُ لَا تُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي . . . وَلَكِنَّكَ سَتُسَاعِدُنِي . . . لَا بُدَّ لَكَ أَنْ
تُسَاعِدَنِي . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ : « اِسْمَعْ ، لَا تَطْرَحْنِي أَرْضًا بَعْدَ الْآنَ ، وَدَعْنِي

أَنْصَرِفُ . . . يَجِبُ أَنْ أُسْتَعِيدَ هُدُوهُ أَغْصَابِي . . إِنَّكَ كَذَبْتَ أَنْ تُكْسِرَ
أُصْبَعَ قَدَمِي ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ عَجِيبٌ لَا يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ : أَرْضٌ خَلَاءٌ ،
وَسَمَاءٌ خَالِيَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ يُرَى عَلَى مَسَافَةِ كِيلُومِترَاتٍ إِلَّا الطَّبِيعَةُ . وَفَجْأَةً
يَنْبُعُ صَوْتُ آتٍ مِنَ السَّمَاءِ ! ثُمَّ حِجَارَةٌ وَقَبْضَةٌ يَدٍ ! يَا إِلَهِي !
قَالَ الصَّوْتُ : « تَمَسَّكَ يَا رَجُلُ ؛ إِذْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِمَا
أُرِيدُهُ مِنْكَ . »

فَغَرَّ مَارْفُلَ فَمَهُ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ .

عَادَ الصَّوْتُ يَقُولُ : « لَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارِي عَلَيْكَ . إِنَّكَ الْإِنْسَانُ
الْوَحِيدُ - بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِ الْحَمَقَى مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ - الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّ
نَمَّةً شَيْئًا أَسْمُهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُعِينًا لِي . أَرْجُوكَ
سَاعِدْنِي ، وَسَوْفَ أَجَازِيكَ خَيْرَ الْجَزَاءِ . إِنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ ذُو بَأْسٍ
وَسُلْطَانٍ . » وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ بُرْهَةً لِيُعْطِسَ عَطَسَةً عَالِيَةً .

ثُمَّ قَالَ : « لَكِنْ إِذَا خَدَعْتَنِي ، وَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ . . . »
مَرَّةً أُخْرَى كَفَّ عَنْ مُتَابَعَةِ الْحَدِيثِ ، وَرَبَّتْ عَلَى كَتِفِ السَّيِّدِ
مَارْفُلُ بِشِدَّةٍ ؛ فَاطْلَقَ مَارْفُلُ صَيْحَةً فَرَعَ حِينَمَا شَعَرَ بِلَمَسَةِ يَدِهِ ، وَقَالَ

وَهُوَ يَتَبَعُ : « إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَخَذَعَكَ . وَلَا يَخْطُرُنْ ذَلِكَ بِإِلَاكِ ، مَهْمَا
فَعَلْتَ . . كُلُّ مَا أَبْغِيهِ هُوَ أَنْ أُسَاعِدَكَ . قُلْ لِي فَقَطْ مَا تُرِيدُنِي أَنْ
أَفْعَلَهُ ، وَ مَهْمَا يَكُنْ ذَلِكَ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنِّي فَسَوْفَ أَفْعَلُهُ رَاضِيًا . »
وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ دَخَلَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ الْقَرْيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ
الْتَّلَالِ . وَكَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ بَدِينًا ، عَلَى رَأْسِهِ قُبْعَةٌ قَدِيمَةٌ قَدِيرَةٌ ، وَبَدَا
مَكْدُودًا مُتَعَبًا لَاهِثَ الْأَنْفَاسِ . وَكَانَتْ عَلَامَاتُ الْخَوْفِ ظَاهِرَةً عَلَى
وَجْهِهِ ، وَبَدَا كَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ . وَتَذَكَّرَ بَعْضُ رِجَالِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ
مِنْ قَبْلُ ، وَشَاهَدَهُ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ يَرْتَقِي دَرَجَاتِ الْفُنْدُقِ وَيَتَّجُهُ إِلَى
الرَّدْهَةِ . وَسَمِعَ هَكَسْتَرُ أَصْوَاتًا مِنْ دَاخِلِ الرَّدْهَةِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَلَّا
يَدْخُلَهَا .

قَالَ هُوَ : « هَذِهِ غُرْفَةٌ خَاصَّةٌ فَلَا تَدْخُلُهَا . »

وَأَغْلَقَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ بَابَ الرَّدْهَةِ ، وَارْتَدَّ مُتَّجِهَاً إِلَى قَاعَةِ
الْجُلُوسِ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَمْسَحُ فَمَهُ كَأَنَّهُ
قَدْ شَرِبَ شَيْئًا .

الفصل التاسع

في فندق "العربة و الحياض"

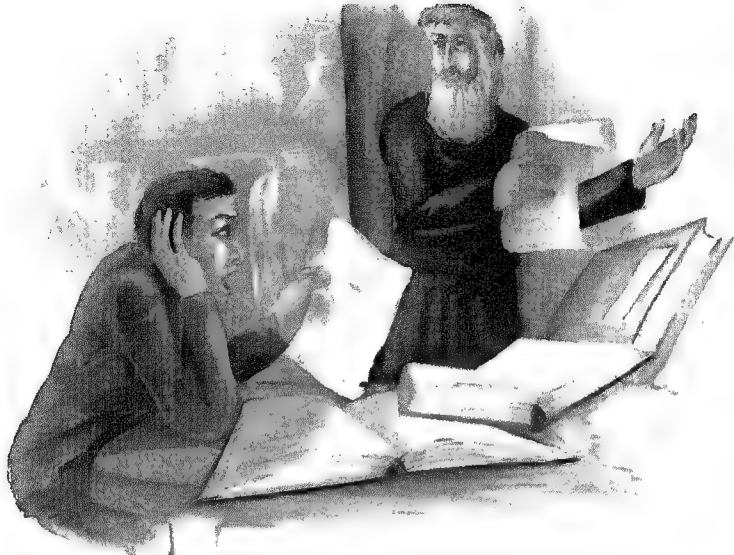
كَانَ السَّيِّدَانِ كَاسَ وَتَبَتَّعَ فِي رَذَمَةِ الْفُنْدُقِ يُفْتَشَانِ مَتَاعَ الْغَرِيبِ ،
أَمَلَا فِي أَنْ يَجِدَا شَيْئًا يُفَسِّرُ لَهَا أَحْدَاثَ ذَلِكَ الصَّبَاحِ . وَكَانَ جِيفِرُزْ قَدْ
أَفَاقَ مِنْ سَقَطِيهِ ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ . أَمَّا السَّيِّدَةُ هُوَ فَقَدْ رَتَّبَتْ مَلَابِسَ
الْغَرِيبِ ، وَنَحَّتْهَا جَانِبًا . وَعَثَرَ السَّيِّدُ كَاسَ عَلَى ثَلَاثَةِ كُتُبٍ ضَخْمَةٍ
تَحْتَ النَّافِذَةِ حَيْثُ كَانَ الْغَرِيبُ يَعْمَلُ .

قَالَ كَاسَ لِبَتَّتِنَغَ : « الْآنَ سَنَهْتَدِي إِلَى شَيْءٍ . »

وَلَكِنْ مَا إِنْ فَتَحَا الْكُتُبَ حَتَّى أَلْفَيَا نَفْسَيْهِمَا عَاجِزَيْنِ عَنْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ .
وَرَاحَ كَاسَ يُقَلِّبُ الصَّفَحَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا غَرِيبٌ ! إِنِّي لَا أَفْهَمُ
شَيْئًا ! »

سَأَلَهُ السَّيِّدُ بَتَّتِنَغَ : « أَلَمْ تَجِدْ صُورًا ؟ لَا شَيْءٌ يُبَيِّنُ ؟ »

أَجَابَهُ السَّيِّدُ كَاسَ : « هَاكَ الْكُتُبُ . إِفْحَصْهَا بِنَفْسِكَ . إِنَّهَا



مَكْتُوبَةٌ بِالْيُونَانِيَّةِ ، أَوْ لَعَلَّهَا الرُّوسِيَّةُ أَوْ آيَةٌ لُّغَةٍ أُخْرَى . »

فُتِّحَ الْبَابُ فَجَاءَ ، وَاسْتَدَارَ الرَّجُلَانِ يَتَطَّلَعَانِ ، فَإِذَا الْقَادِمُ هُوَ
السَّيِّدُ مَارْقِلُ ، وَلَيْتَ بُرْهَةً مُنْسِكَا بِالْبَابِ وَهُوَ مَفْتُوحٌ ، ثُمَّ قَالَ :
« مَعْذِرَةٌ ! » .

قَالَ السَّيِّدُ كَاس : « أَزْجُوكَ أَنْ تُغْلِقَ الْبَابَ . »
وَعِنْدَيْهِ أَنْصَرَفَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ .

قَالَ كَاس : « إِنَّ أَعْصَابِي ... إِنَّ أَعْصَابِي الْيَوْمَ مُضْطَرِبَةٌ ؛ فَقَدْ
أَجْفَلْتُ فَرَعًا عِنْدَمَا فُتِّحَ الْبَابُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ . »

إِبْتَسَمَ السَّيِّدُ بَتْنِغَ وَقَالَ : « فَلْنُعَاوِدِ الْآنَ النَّظَرَ فِي الْكُتُبِ ؛ فَلَيْسَ
ثَمَّةُ شَكٍّ فِي أَنَّ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً حَدَّثَتْ فِي الْقَرْيَةِ ، وَلَكِنِّي مَعَ هَذَا لَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَصَدِّقَ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا أَسْمُهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . نَعَمْ ، لَا أَسْتَطِيعُ . . . »
« لَا ، وَمَعَ ذَلِكَ أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّنِي آسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى مِنْ خِلَالِ كُمْ
قَمِيصِهِ . »

سَأَلَهُ السَّيِّدُ بَتْنِغَ : « أ وَائِقُ أَنْتَ بِذَلِكَ ؟ أ وَائِقُ تَمَامًا ؟ »

« وَائِقُ كُلُّ الْوُثُوقِ ؛ وَقَدْ قُلْتُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ أَذْنُ شَكٍّ فِيهِ .

وَلْنُعْدِ الْآنَ إِلَى الْكُتُبِ . »

ثُمَّ مَضَى يُقَلِّبَانِ الصَّفَحَاتِ ، وَلَكِنَّهَا عَجَزَا عَنْ قِرَاءَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
مِنْ لُغَتِهَا الْغَرِيبَةِ . وَفَجَاءَ أَحَسُّ السَّيِّدِ بَتْنِغَ بِشَيْءٍ يُمَسِّكُ بِقَفَاهُ ، حَتَّى إِنَّهُ
لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ .

« إِيَّاكُمَا أَنْ تَتَحَرَّكَا أَيُّهَا التَّافِهَانِ وَلَا حَظْمْتُ رَأْسَيْكُمَا . »

وَتَطَلَّعَ السَّيِّدُ بَتْنِغَ إِلَى كَاسِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ شَاجِبًا مِنْ شِدَّةِ
الْهَلَعِ .

قَالَ الصَّوْتُ : « يُؤَسِّفُنِي أَنْ أَكُونَ خَشِينًا غَنِيًّا ، وَلَكِنْ مَتَى تَعَلَّمْتُمَا

الْعَبَثَ بِمُقْتَنِيَاتٍ غَيْرِكُمَا ؟ »

وَأَصْطَلَمَ أَنْفَانِ بِالْمَائِدَةِ ، وَوَاصَلَ الصُّوْتُ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « كَيْفَ
تَدْخُلَانِ حُجْرَةَ غَرِيبٍ دُونَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْكُمَا ذَلِكَ ؟ أَنْصِنَا إِلَيَّ ! إِنِّي
رَجُلٌ قَوِيٌّ الْبُنْيَةِ ، وَفِي وَسْعِي أَنْ أَقْتُلَكُمَا كِلَيْكُمَا إِذَا شِئْتُ وَأَفِرُّ هَارِبًا دُونَ
أَنْ يَرَانِي أَحَدٌ . وَلَكِنْ إِذَا أَطْلَقْتُ سَرَاحَكُمَا فَعِدَانِي أَنْ تَفْعَلَا مَا
أُرِيدُهُ . »

قَالَ السَّيِّدُ بَنْتِنُغ : « نَعِدُكَ بِذَلِكَ . »

وَتَخَلَّتِ الْيَدَانِ عَنْ عُنُقِي الرَّجُلَيْنِ ؛ فَأَعْتَدَا وَاقِفَيْنِ ، وَقَدْ تَضَرَّجَ
وَجْهُمَا أَحْمِرَارًا .

قَالَ الصُّوْتُ : « إِنَّاكُمَا أَنْ تَتَحَرَّكَا . هَا هُوَذَا قَضِيبُ تَقْلِيبِ النَّارِ فِي
يَدِي ؛ أَمْ تَرَيَانِيهِ ؟ »

وَرَأَى الْقَضِيبَ يَتَأَرَّجُحُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَلْمِسُ أَنْفَ السَّيِّدِ بَنْتِنُغ .

« وَالْآنَ أَيْنَ مَلَابِسِي ؟ حَقِيقَةُ الْجَوِّ دَائِفٌ هَذِهِ الْأَيَّامَ حَتَّى لَيْسَتْ طَعِمَ

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ أَنْ يَتَجَوَّلَ مُجَرَّدًا مِنَ الثِّيَابِ ، وَلَكِنْ الْمَسَاءُ بَارِدٌ .

لِذَلِكَ فَأَنَّنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى بَعْضِ الْمَلَابِسِ ، وَلِأَيِّ هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ

أَيْضًا . »

الفصلُ العاشرُ

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَتَمَلَّكُهُ الْغَضَبُ

بَيْنَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ تَحْدُثُ فِي الرَّدْهَةِ ، وَ عَلَى حِينٍ وَقَفَ السَّيِّدُ
هَكَسْتَرُ يَرْقُبُ السَّيِّدَ مَارِفِلَ وَهُوَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى بَوَابَةِ الْفُنْدُقِ يُدَخِّنُ غَلِيُونَهُ ،
كَانَ السَّيِّدُ هُولَ عَلَى قَيْدِ خُطُوبٍ يَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ السَّيِّدِ تَيْدِي
هَنْفَرِي .

وَفَجْأَةً دَوَتْ خَبْطَةٌ عَالِيَةً فَوْقَ بَابِ الرَّدْهَةِ ؛ أَعْقَبَتْهَا صَرْخَةٌ ، ثُمَّ
سَادَ السُّكُونُ .

صَاحَ تَيْدِي هَنْفَرِي : « مَا هَذَا ؟ »
وَرَدَّدَ صَوْتٌ مِنَ الدَّاخلِ : « مَا هَذَا ؟ »
وَنَظَرَ السَّيِّدُ هُولَ وَتَيْدِي إِلَى الْبَابِ .
قَالَ هُولُ : « حَدَثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ . »

وَأَزْهَقَ الرَّجُلَانِ السَّمْعَ فَتَرَةً طَوِيلَةً ، وَمِنْ وَرَاءِ أَلْبَابِ الْمَوْصِدِ
سَمِعَا أَصْوَاتًا غَرِيبَةً ، كَأَنَّ شَيْئًا يَسْقُطُ أَرْضًا ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ
حَادَّةٌ .

وَأَرْفَعَ صَوْتٌ يَقُولُ : « لَا ... لَا ... لَا تَفْعَلْ هَذَا . » ثُمَّ سَادَ
الصَّمْتُ .

وَفِي صَوْتٍ خَافِتٍ هَمَسَ هَنْفَرِي مُتَعَجِّبًا : « مَا هَذَا ؟ ! »

وَتَسَاءَلَ هُوَ : « أَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ؟ »

وَجَاءَ صَوْتُ السَّيِّدِ بَنِينُغ مُجِيبًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ! عَلَى مَا
يُرَامُ ! لَا تَدْخُلُ . »

وَوَقَفَا يُنْصِتَانِ .

وَسَمِعَا السَّيِّدَ بَنِينُغ يَقُولُ : « لَا أَسْتَطِيعُ . أَقُولُ لَكَ يَا سَيِّدِي إِنِّي
لَنْ أَفْعَلَ هَذَا . »

وَسَأَلَ هَنْفَرِي : « مَنِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ الْآنَ ؟ »

أَجَابَهُ هُوَ : « السَّيِّدُ كَاسُ فَيَا أَعْتَقِدُ . هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا آخَرَ ؟ »

ثُمَّ سَادَ السُّكُونُ .

قَالَ هُولُ : « يَبْدُو أَنَّ أَحَدًا أَلْقَى بِالْمَائِدَةِ عَلَى الْأَرْضِ . »
وَوَظَّهَرَتْ زَوْجَةُ هُولُ ، وَحِينَ أَنْبَأُوهَا بِمَا حَدَثَ أَبَتْ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّ
شَيْئًا غَرِيبًا كَانَ يَحْدُثُ ، وَ قَالَتْ : « لَعَلَّهُمْ يُزِيحُونَ الْمَقَاعِدَ
وَالْمِنْصَدَةَ . »

تَسَاءَلَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي : « أَلَمْ أَسْمَعْ صَرِيرَ الْنَافِذَةِ ؟ »

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَةُ هُولُ : « أَيُّهُ نَافِذَةٌ ؟ »

وَأَجَابَهَا هَنْفَرِي : « نَافِذَةُ الرَّدْمَةِ . »

وَوَقَفَ الْجَمِيعُ يُنْصِتُونَ ، وَكَانَتْ زَوْجَةُ هُولُ تَنْظُرُ أَمَامَهَا مُبَاشَرَةً
فَوَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَى بَابِ الْفُنْدُوقِ اللَّامِعِ ، وَ الطَّرِيقِ الْخَالِي النَّظِيفِ ،
وَوَاجِهَةً مَتَجَرِّ هَكَسَرَوَهِي تَتَأَلَّقُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَ شَيْئًا
مِنْ هَذَا . وَفَجْأَةً انْفَتَحَ بَابُ الْمَتَجَرِّ ، وَظَهَرَ هَكَسَرَنَفْسُهُ يُحَدِّقُ بِعَيْنَيْهِ
مِنْ فَرْطِ الْإِنْفِعَالِ ، وَيُلَوِّحُ بِذِرَاعَيْهِ .

صَاحَ هَكَسَرُ : « قِفْ أَيُّهَا اللَّصُّ ! » وَجَرَى صَوْبَ أَبْوَابِ الْفِنَاءِ ،

ثُمَّ تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ .

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ صَدَرَتْ مِنَ الرَّذَّةِ جَلْبَةٌ ، وَ سَمِعَ صَرِيرُ نَافِذَةٍ
تُغْلَقُ .

وَأَنْدَفَعَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى الشَّارِعِ هَوْلٌ وَهَنْفَرِي وَسَائِرُ الْمَوْجُودِينَ فِي
الْفُنْدُقِ . وَشَاهَدُوا شَخْصًا يَجْرِي صَوْبَ طَرِيقِ التَّلِّ ، وَشَاهَدُوا السَّيِّدَ
هَكَسَرَ يَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ وَكَيْفِهِ . وَجَرَى هَوْلٌ
وَأَثْنَانِ مِنَ الْعَمَالِ إِلَى آخِرِ الشَّارِعِ ، فَرَأَوْا السَّيِّدَ مَارِئِلَ يَتَوَارَى وَرَاءَ
جِدَارِ أَحَدِ الْمَبَانِي .

بَيَّدَ أَنَّ هَوْلَ لَمْ يَكْذُ يَجْرِي بِضَعِ خُطَوَاتٍ حَتَّى أَطْلَقَ صَرْخَةً عَالِيَةً
وَسَقَطَ عَلَى جَنْبِهِ جَائِذَا مَعَهُ أَحَدَ الْعَامِلِينَ . وَلَحِقَ بِهِمَا الْعَامِلُ الثَّانِي ،
وَطُرِحَ هُوَ أَيْضًا أَرْضًا . وَعِنْدَئِذٍ أَقْبَلَ الْحَشْدُ الْقَادِمُ مِنَ الْقَرْيَةِ ،
وَنَهَشَ أَوَّلَ الْقَادِمِينَ عِنْدَمَا رَأَى هَكَسَرَ وَهَوْلَ وَاقِعَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ .
وَفَجْأَةً حَدَّثَ شَيْءٌ لِقَدَمَيْهِ فَإِذَا بِهِ رَاقِدٌ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَالْحَشْدُ الْقَادِمُ
يَتَسَاقَطُ فَوْقَهُ ، وَاللَّعْنَاتُ تَنْهَالُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ الْغَاضِبِينَ .

عِنْدَمَا جَرَى هَوْلٌ وَهَنْفَرِي وَالْعَامِلَانِ مِنَ الْفُنْدُقِ إِلَى الطَّرِيقِ بَقِيَتْ
زَوْجَةُ هَوْلَ وَحْدَهَا فِي الْمَطْعَمِ . وَفَجْأَةً فُتِحَ بَابُ الرَّذَّةِ وَبَرَزَ عَلَى عَتَبَتِهِ
السَّيِّدُ كَاسٌ ، وَدُونَ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَيْهَا بَصَرُهُ قَفَزَ يَطْوِي الدَّرَجَ مُتَجِّهًا إِلَى

الطَّرِيقِ صَارِخًا : « أَمْسِكُوهُ ! لَا تَدْعُوهُ يَرْمِي الْكُتُبَ الَّتِي فِي يَدِهِ ! فَمَا
دَامَ مُمَسِّكًا بِالْكُتُبِ فَسَتَمَكِّنُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَكَانِهِ . »

بَيَدُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مَارِزِل ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ كَانَ
قَدْ أَعْطَاهُ الْكُتُبَ لِيَحْمِلَهَا عَنْهُ وَهُوَ فِي الْفِنَاءِ .

وَكَانَتْ عَلَامَاتُ الْغَضَبِ وَالتَّصْمِيمِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ السَّيِّدِ كَاس ،
أَمَّا ثِيَابُهُ فَكَانَ شَأْنُهَا عَجِيبًا . . . فَبَدَلًا مِنَ الْبَنْطَلُونِ كَانَ يَلْفُ حَوْلَ بَطْنِهِ
وَسَاقِيهِ مِفْرَشَ الْمَائِدَةِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَصِيحُ : « أَمْسِكُوهُ ! لَقَدْ اسْتَوْلَى
عَلَى بَنْطَلُونِي ! لَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَى كُلِّ ثِيَابِ السَّيِّدِ بَنْتَنُغ ! »

وَعِنْدَمَا بَلَغَ نَاصِيَةَ الطَّرِيقِ لِيَنْضَمَّ إِلَى حَشْدِ النَّاسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ
يُطْرَحُ أَرْضًا ، فَأَخَذَ يَرْكُلُ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ . وَدَاسَ أَحَدُهُمْ عَلَى أَصْبُعِهِ ،
وَأَخَذَ يُجَاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَأَصْطَدَمَ بِهِ شَيْءٌ وَالْقَاءُ ثَانِيَةً عَلَى
رُكْبَتَيْهِ . وَرَأَى النَّاسَ جَمِيعًا يَرْكُضُونَ عَائِدِينَ إِلَى الْقَرْيَةِ ، فَانْتَصَبَ عَلَى
قَدَمَيْهِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا بِهِ يَتَلَقَّى لُطْمَةً خَلْفَ أُذُنِهِ ، فَأَسْرَعَ عَائِدًا إِلَى
فُنْدُقِ الْقَرْيَةِ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَفِي طَرِيقِهِ قَفَزَ مُتَخَطِّيًا
هَكَسَرَ الَّذِي كَانَ جَالِسًا عَلَى الْأَرْضِ .

وَيَعْدُ أَنْ صَعِدَ نِصْفَ سُلَمِ الْفُنْدُقِ ، سَمِعَ صَيْحَةَ غَضَبٍ
مُفَاجِئَةً تَجَاوَزَتْ فِي شِدَّتِهَا صَوْتَ الْجَلْبَةِ السَّائِدَةِ ، ثُمَّ صَوْتَ صَفْعَةٍ
سَدَّدَتْ إِلَى وَجْهِ شَخْصٍ مَا . وَأَذْرَكَ أَنْ صَيْحَةَ الْغَضَبِ كَانَتْ لِلرَّجُلِ
الْخَفِيِّ .

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ كَانَ السَّيِّدُ كَاسٌ قَدْ عَادَ إِلَى الرُّدْهَةِ .

قَالَ وَهُوَ يَنْدِفِعُ إِلَى الدَّاخِلِ : « إِنَّهُ عَائِدٌ يَا بَتْنِغ ! أَنْجُ بِنَفْسِكَ ! »
وَكَانَ السَّيِّدُ بَتْنِغٌ وَاقِعًا عِنْدَ النَّافِذَةِ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَرَّ جَسَدَهُ
بِالسَّجَادَةِ وَيُاخِذِي الصُّحُفِ ، فَسَأَلَهُ - وَقَدْ بَلَغَتْ دَهْشَتُهُ حَدًّا كَادَتْ
مَعَهُ مَلَاسُهُ تَسْقُطُ عَنْ جَسَدِهِ - : « مَنِ الْعَائِدُ ؟ »

أَجَابَ كَاسٌ : « الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . » وَأَنْدَفَعَ نَحْوَ النَّافِذَةِ وَهُوَ
يُرَدِّدُ : « خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَهْرُبَ مِنْ هُنَا ، أَسْرِعْ ! إِنَّهُ يُقَاتِلُ كَالْمَجْنُونِ ! »
وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كَانَ فِي الْفِنَاءِ .

وَسَمِعَ السَّيِّدُ بَتْنِغٌ جَلْبَةً صِرَاعٍ عَنِيفٍ فِي الْمَمْشَى ، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُ
عَلَى أَنْ يُغَادِرَ الْمَكَانَ . وَخَرَجَ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَأَنْطَلَقَ يَجْرِي عِبْرَ شَارِعِ
الْقَرْيَةِ بِأَسْرَعٍ مَا تَسْتَطِيعُ سَاقَاهُ السَّمِيتَانِ أَنْ تُحْمِلَاهُ .

الفصل الحادي عشر

السيد مارفل يحاول رفض المهمة

كَانَ السَّيِّدُ مَارْفِلُ يَسِيرُ مُتَأَلِّمًا وَسَطَ الْجِرَاجِ الْكَثِيفَةِ مُتَّجِهًا إِلَى
بِرَامِبِلِهْرِسْت . وَكَانَ تَعِيسًا وَهُوَ يَحْمِلُ ثَلَاثَةَ كُتُبٍ وَيَعْصُ السَّمَلِيسِ
الْمَلْفُوفَةِ فِي مِفْرَشٍ مَائِدَةٍ أَزْرَقِ اللَّوْنِ .

وَكَانَ يُصَاحِبُهُ صَوْتُ ، وَتَمْسِكُ بِهِ بِقُوَّةٍ يَدَانِ غَيْرِ مَرِيئَتَيْنِ .

قَالَ الصَّوْتُ مُرَدَّدًا : « لَوْ أَنَّكَ حَاوَلْتَ أَنْ تَهْرَبَ مَرَّةً أُخْرَى . . . لَوْ
أَنَّكَ حَاوَلْتَ أَنْ تَهْرَبَ مَرَّةً أُخْرَى فَسَاقَتُكَ . »

أَجَابَ السَّيِّدُ مَارْفِلُ : « إِنِّي لَمْ أَحَاوِلْ أَنْ أَهْرَبَ . »

إِنهَالِ الصَّوْتُ عَلَيْهِ بِالسَّبَابِ وَاللَّعْنَاتِ ، ثُمَّ سَكَتَ . وَبَدَأَ السَّيِّدُ
مَارْفِلُ مُتَعَبًا مَنُهَوًكَ الْقُوَى ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْلَفُ الْعَمَلَ الشَّاقَّ . وَسَادَ
الصَّمْتُ بُرْهَةً مِنَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ قَالَ الصَّوْتُ : « يَجِبُ أَنْ أُفِيدَ مِنْكَ .
إِنَّكَ مَخْلُوقٌ مَسْكِينٌ ، وَلَكِنِّي مُضْطَّرٌّ إِلَى ذَلِكَ . »



قَالَ مَارِئِيلُ : « نَعَمْ إِنِّي رَجُلٌ مُسْكِينٌ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « صَدَقْتَ . »

قَالَ مَارِئِيلُ : « إِنِّي لَسْتُ قَوِيًّا . » وَسَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ كَرَّرَ قَوْلَهُ :

« إِنِّي لَسْتُ قَوِيًّا . فَقَلْبِي ضَعِيفٌ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي . »

قَالَ الصَّوْتُ : « بَلْ سَأَجْعَلُكَ تَفْعَلُ مَا أُرِيدُ . »

قَالَ مَارِئِيلُ : « لَيْتَنِي مِتُّ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « وَاصِلِ الْمَشْيِ ! سِرْ ! تَحْرُكُ ! »

قَالَ مَارِئِيلُ : « يَا لَهَا مِنْ قَسْوَةٍ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « أَضْمُتْ ! سَاعْمَلْ عَلَى أَنْ أَجْعَلَكَ مُرْتَاحًا . وَلَكِنْ

أَلْزَمِ السُّكُوتَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَفْكُرَ . »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَرَاءَتْ لَهُمَا أَنْوَارُ قَرْيَةٍ .

قَالَ الصَّوْتُ : « سَأُبْقِي يَدِي عَلَى كَتِفِكَ ، فَادْخُلِ الْقَرْيَةَ وَسِرْ

فِيهَا ، وَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا لِأَحَدٍ . »

الفصلُ الثاني عشرُ في ميناءِ آستو

في العاشرة من صباح اليوم التالي ، جلس السيد مارفل خارج
فندق صغير في ميناء آستو ، وهو قديرٌ حزينٌ ، تكادُ الدموعُ تطفِرُ من
عينيه ، و بجانبه الكتبُ الثلاثة ، ولكنها هذه المرة كانت مربوطةً
بخط . أما الثيابُ فقد تركها في الحراج القريبة من برامبلهريست .
كان السيد مارفل جالساً على أريكة عند الباب ، ورغم أنه لم يكن
يلقى أي اهتمام من أحد ، إلا أنه كان مُنفِعلاً مُتَوَتِّراً الأعصاب .
وبعد انقضاء قرابة الساعة - ومارفل جالسٌ مكانه - خرج من
الفندق بحارٌ عجوزٌ في يده صحيفة ، وأستوى جالساً بجانبه على
الأريكة .

قال البحارُ : « طَفَسُ جَمِيلُ الْيَوْمِ . »

تَطْلَعُ السَّيِّدُ مَارْفُلَ إِلَى الْبَحَارِ بِعَيْنَيْنِ يَتَجَلَّى فِيهِمَا الرَّغْبُ ، وَرَدَّدَ فِي

أَفْتِصَابٍ : « جِدًّا . »



أَدَارَ الْبَحَارُ بَصَرَهُ فِيمَا حَوْلَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَفْعَلُهُ ، ثُمَّ
 اسْتَقَرَّتْ عَيْنَاهُ عَلَى ثِيَابِ السَّيِّدِ مَارِثِلَ الَّتِي عَلَاهَا التُّرَابُ ، وَعَلَى الْكُتُبِ
 الَّتِي بِجَوَارِهِ . وَسَمِعَ خَشْخَشَةَ نُقُودٍ تُلْقَى فِي جَيْبِ جَارِهِ ، وَرَأَى أَنَّ
 السَّيِّدَ مَارِثِلَ لَيْسَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ نُقُودًا
 كَثِيرَةً .

سَأَلَهُ الْبَحَارُ فَجَاءَهُ : « أَهْذِهِ كُتُبُ ؟ »

هَبْ السَّيِّدُ مَارِثِلَ وَاقِفًا ، وَنَظَرَ إِلَى الْكُتُبِ قَائِلًا : « آه . . . نَعَمْ !
 نَعَمْ إِنَّهَا كُتُبُ ! »

فَقَالَ الْبَحَارُ : « إِنَّ فِي الْكُتُبِ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِثِلَ : « نَعَمْ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « وَفِي خَارِجِهَا أَشْيَاءُ غَرِيبَةً . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِثِلَ : « هَذَا صَحِيحٌ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « فَفِي الصُّحُفِ مَثَلًا أَشْيَاءَ غَرِيبَةً . »

« صَدَقْتَ »

قَالَ الْبَحَّارُ : « فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ شَيْءٌ غَرِيبٌ . فِيهَا قِصَّةُ رَجُلٍ خَفِيٍّ . »

ثُمَّ رَوَى لِلسَّيِّدِ مَارْزِلِ الشُّطْرَ الْأَكْبَرَ مِمَّا نَشَرَتْهُ الصَّحِيفَةُ عَنِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . وَأَرَدَتْ : « إِنِّي لَا أُحِبُّ هَذَا ، فَقَدْ يَكُونُ فِي أَيِّ مَكَانٍ ، وَقَدْ يَكُونُ هُنَا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِنَا . وَتُحِيلُ أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَقْتُلَ ، فَمَا الَّذِي سَيَمْنَعُهُ ؟ »
وَبَدَأَ أَنَّ السَّيِّدَ مَارْزِلِ كَانَ يُنْصِتُ إِلَى أَقْلِ صَوْتٍ .

قَالَ : « الْوَاقِعُ أَنَّ ... » وَخَفَضَ مِنْ صَوْتِهِ وَقَالَ : « لَقَدْ تَصَادَفَ أَنْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . »
سَأَلَهُ الْبَحَّارُ : « أَنْتَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْزِلِ : « نَعَمْ ، أَنَا ! »
وَلَمْ يَبْدُ عَلَى الْبَحَّارِ أَنَّهُ صَدَّقَ السَّيِّدَ مَارْزِلِ .
وَشَرَعَ السَّيِّدُ مَارْزِلِ يَقُولُ : « لَقَدْ حَدَّثَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ ... »

وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلَاحِجُ وَجْهِهِ ، وَهَبَ مِنْ مَقْعَدِهِ يَتَأَوُّهُ مِنَ الْأَلَمِ .

سَأَلَهُ الْبَحَّارُ : « مَاذَا حَدَّثَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ : « أُعْتَقِدُ أُعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَنْصَرِفَ . »

قَالَ الْبَحَّارُ : « وَلَكِنَّكَ كَذَبْتَ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . »
وَبَدَأَ عَلَى السَّيِّدِ مَارِئِلِ الْاسْتِغْرَاقُ فِي التَّفَكُّيرِ .

وَقَالَ صَوْتُ : « هَذَا كَذِبٌ . »

وَوَافَقَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ قَائِلًا : « نَعَمْ ، هَذَا كَذِبٌ . »

قَالَ الْبَحَّارُ : « إِنَّهُ مَنْشُورٌ فِي الصَّحِيفَةِ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ بِصَوْتٍ عَالٍ : « نَعَمْ ، وَلَكِنَّهَا قِصَّةٌ كَاذِبَةٌ . وَأَنَا
أَعْرِفُ الرَّجُلَ الَّذِي ابْتَدَعَهَا فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٍ بِأَسْمِهِ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . »

« وَلَكِنْ مَا رَأَيْتَ فِيهَا نَشْرَتَهُ الصَّحِيفَةُ ؟ أَمْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ . . . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلُ مُوَكَّدًا : « لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ . »

وَحَدَّقَ إِلَيْهِ الْبَحَّارُ وَالصَّحِيفَةُ فِي يَدِهِ ، وَتَلَفَّتِ السَّيِّدُ مَارِئِلُ جَوَلَهُ .

وَقَالَ الْبَحَّارُ : « اِنْتَظِرْ قَلِيلًا . » ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ يَقُولُ بِطُغْيٍ : « أَمْ تُرِيدُ

أَنْ تَقُولَ . . . ؟ »

أَجَابَهُ السَّيِّدُ مَارِثِلُ مُقَاطِعًا : « نَعَمْ ، هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ . »

« إِذَا لِمَاذَا تَرَكْتَنِي أُرَوِّي لَكَ كُلَّ هَذَا ؟ مَا الَّذِي كُنْتَ تَرْمِي إِلَيْهِ

حِينَ جَعَلْتَنِي أَبْدُو سَادَجًا مُغْفَلًا أَرَدَدُ عَلَيْكَ قِصَّةً كَاذِبَةً ؟ »

إِرْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : « تَقَدَّمْ ! » وَفَجأةً أَدِيرَ السَّيِّدُ مَارِثِلَ ، وَبَدَأَ

يَمْشِي قَفْزًا بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ .

قَالَ الْبَحَّارُ وَقَدْ تَبَاعَدَتْ سَاقَاهُ ، وَوَقَفَ يَرْقُبُ الرَّجُلَ وَهُوَ يَتَبَعُهُ :

« أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْأَخْمَقُ ! سَوْفَ أُرِيكَ ، أَيُّهَا الْأَخْمَقُ الْمَغْفَلُ ! إِنَّهَا

مَنْشُورَةٌ هُنَا فِي الصَّحِيفَةِ ! »

عِنْدَئِذٍ حَدَّثَ شَيْءٌ عَجِيبٌ . . . شَيْءٌ سَمِعَهُ الْبَحَّارُ وَرَأَاهُ بِمِثْلِ

عَيْنَيْهِ : حَفَنَةٌ مِنَ النَّقُودِ الْمَعْدِنِيَّةِ تَسِيرُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا مُلْتَصِفَةً

بِالْجِدَارِ . وَقَدْ رَأَى صَدِيقٌ لِلْبَحَّارِ هَذَا الْمَشْهَدَ الْعَجِيبَ صَبَاحَ ذَلِكَ

الْيَوْمِ نَفْسِهِ . وَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ النَّقُودَ لَطَمَتْهُ يَدٌ غَيْرُ مَرِيئَةٍ فَطَرَحَتْهُ

أَرْضًا ، وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رِجْلَيْهِ كَانَتْ النَّقُودُ قَدْ اخْتَفَتْ .

وَكَانَتْ قِصَّةُ النَّقُودِ الطَّائِرَةِ حَقِيقَةً لَا يُدَاخِلُهَا الشَّكُّ ؛ فَقَدْ كَانَتْ

النُّقُودُ تَمْشِي بِهُدُوءٍ مِنَ الْأَمَاكِينِ الْمُجَاوِرَةِ ، حَتَّى مِنَ الْمَصْرِفِ
وَالْمَتَاجِرِ وَالْفَنَادِقِ ، وَكَأَنَّكَ تَتَّخِذُ طَرِيقَهَا إِلَى جَيْبِ السَّيِّدِ مَا رُفِلَ .
وَقَدْ سَمِعَ الْبَحَّارُ هَذِهِ الْقِصَّةَ .

الفصل الثالث عشر

الرجل الذي في عجلة من أمره

في الساعات الأولى من مساء أحد الأيام كان الدكتور كُنب جالساً في مكتبه القائم على التل الذي يُشرف على قرية برذوك . وكانت غرفة المكتب أنيقة صغيرة في الطابق العلوي ، ولها ثلاث نوافذ تطل على الشمال والغرب والجنوب ، وتنتظم جذرانها رفوف مكدسة بالكتب ، وبها مكتب عريض . وكان الدكتور كُنب طويل القامة ، نحيف الجسم ، في حوالى الخامسة والثلاثين ، برأسه بقيقه من شعر كان أشقر في يوم من الأيام . وكان جالساً إلى مكتبه منهمكاً في الكتابة .

وحدث أن رفع عينيه عن عمله ، فوقعنا على منظر الغروب وراء التل المقابل لِمَنْزِلِهِ . ومرّت دقيقة وهو جالس ، وقلّمه في فيه ، يتأمل بإعجاب لون شمس الغروب الذهبي المتألق ؛ وعندئذ لمح شبحاً ضئيلاً لرجل يجري على التل متجهاً ناحيته . وكان ذا قامته تميل

إِلَى الْقِصْرِ ، ضَّيِّلَ الْجِسْمَ ، عَلَى رَأْسِهِ قُبْعَةً قَدِيمَةً قَذِرَةً ، وَ كَانَ
يَجْرِي بِسُرْعَةٍ . وَ نَهَضَ الدُّكْتُورُ كَيْمَبَ ، وَ انْجَهَ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَ رَاحَ
يُحْمِلُ نَاجِيَةَ التَّلِّ ، وَ يُتَابِعُ بِبَصَرِهِ الشَّيْخَ الضَّيِّلَ الَّذِي يَرُكِّضُ هَاطِطًا
التَّلَّ . وَ قَالَ لِنَفْسِهِ : « يَبْدُو أَنَّهُ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . »

وَ تَوَارَى الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي وَرَاءَ بَعْضِ الْبُيُوتِ ؛ ثُمَّ عَادَ إِلَى
الظُّهْرِ ، وَ اخْتَفَى مَرَّةً أُخْرَى - وَ كَانَ لَا يَزَالُ يَجْرِي .

أَمَّا الَّذِينَ كَانُوا عَلَى كَتَبِ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَوْا عِلَامَاتِ الرُّغْبِ بِإِدِيَّةٍ عَلَى
وَجْهِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا ، وَلَئِنَّمَا كَانَتْ عَيْنَاهُ الْوَاسِعَتَانِ
تُحَدِّقَانِ إِلَى مَهْطِ التَّلِّ حَيْثُ تُلْقِي مَصَابِيحُ الشَّارِعِ بِأَنْوَارِهَا ، وَ حَيْثُ
يَزْحَمُ النَّاسُ الطَّرِيقَ .

وَمَا مَرَّ بِإِنْسَانٍ إِلَّا تَوَقَّفَ عَنِ الْمَسِيرِ وَحَمَلَقَ إِلَى الطَّرِيقِ . وَ أَخَذَ
النَّاسُ ، وَقَدْ غَشِيَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَوْفِ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّا يَدْفَعُ هَذَا الرَّجُلَ
إِلَى أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ عَلَى هَذَا النُّحُو .

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَبِأَعْلَى التَّلِّ ، نَبَحَ كَلْبٌ كَانَ يَلْهُو فِي
الطَّرِيقِ ، وَجَرَى تَحْتَ بَوَايَةِ . وَ بَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ ، إِذَا بِشَيْءٍ



- بِرِيحٍ أَوْ يَوْقِعَ أَقْدَامٍ ، أَوْ يَصُوتَ مِثْلَ صَوْتِ أَنْفَاسٍ قَوِيَّةٍ - يَنْدَفِعُ
مَاذَا بِهِمْ .

صَرَخَ النَّاسُ ، وَابْتَعَدُوا عَنْ غُرُضِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَا صُرَاخُهُمْ
عِنْدَمَا أَنْدَفَعَ هَذَا الشَّيْءُ مَاذَا بِهِمْ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ .

وَكَانُوا يَصْرُخُونَ فِي الشَّارِعِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ مَارِئِلُ مِنْ بُلُوغِ نِصْفِ
الطَّرِيقِ . وَأَخَذُوا جَمِيعًا يَرْكُضُونَ إِلَى دَوْرِهِمْ ، وَيُغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ
وَرَاءَهُمْ ، وَ يَتَنَاقَلُونَ خَبْرًا وَاحِدًا . وَسَمِعَهُ مَارِئِلُ ؛ فَأَنْدَفَعَ إِلَى
الطَّرِيقِ . وَ سَبَقَهُ الْخَوْفُ إِلَى النَّاسِ ، وَسَرَّعَانَ مَا مَلَكَهُمْ ؛ وَلَمْ
تَمُضْ إِلَّا لَحْظَةٌ حَتَّى سَادَ الْبَلَدَةَ كُلُّهَا ، وَأَخَذَ الْجَمِيعُ يَصْرُخُونَ :
« الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَادِمٌ ! الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ! »

الفصل الرابع عشر

في "جولي كريكينارز"

"جولي كريكينارز" فُنْدُقٌ صَغِيرٌ يَقَعُ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ . وَكَانَ عَامِلُ
مَطْعَمِ الْفُنْدُقِ مُسْتَبِدًّا إِلَى ذِرَاعَيْهِ الْحَمْرَاوَيْنِ الْمُكْتَبِرَتَيْنِ عَلَى مِنْصَدَةٍ
وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ حَوِذِيَّ عَنِ السَّجَاةِ .

وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ ذُو لِحْيَةٍ سَوْدَاءِ يَتَنَاوَلُ بَسْكَوِيَّتًا وَجُبْنًا وَهُوَ
يَتَحَدَّثُ إِلَى شُرْطِيٍّ بِلُكْنَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ .

قَالَ الْحَوِذِيُّ مُحَاوِلًا النَّظَرَ إِلَى مَا وَرَاءَ التَّلِّ مِنْ خَلْفِ السَّتَائِرِ
الْصُّفْرَاءِ الْمُتَسَيِّخَةِ الْمُسْتَدَلَّةِ عَلَى نَافِذَةِ الْفُنْدُقِ : « لِمَ هَذَا الصَّبَاحُ ؟ »
وَمَرَّ أَحَدُهُمْ خَارِجَ الْفُنْدُقِ مُسْرِعًا .

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « لَعَلَّهُ حَرِيقٌ . »

وَفُتِحَ الْبَابُ بِدَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَدَخَلَ مَارْفِلٌ مُنْدِفِعًا ، وَهُوَ يَبْكِي ، بِدُونِ

قُبْعَةٍ ، وَقَدْ تَمَزَّقَتْ يَاقَتُهُ سُرَّتَرِهِ . وَحَاوَلَ أَنْ يُغْلِقَ أَبَابَ وَرَاءَهُ ، وَكَانَ
نِصْفَ مَفْتُوحٍ ، وَمَرْبُوطًا بِشَرِيطٍ .

وَصَاحَ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ : « قَادِمٌ ! إِنَّهُ قَادِمٌ ! الرَّجُلُ
الْخَفِيُّ وَرَائِي ! بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنْقِذُونِي ! النُّجْدَةُ ! النُّجْدَةُ ! »

قَالَ الشَّرْطِيُّ : « أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ . مَنْ هُوَ هَذَا الْقَادِمُ ؟
مَا الْخَبَرُ ؟ »

وَمَشَى إِلَى أَبَابٍ ، وَفَكَ الشَّرِيطَ ، فَأَنْصَفَقَ أَبَابُ ، وَاعْلَقَ
الرَّجُلُ الْمُلْتَحِي أَبَابَ الثَّانِي .

قَالَ مَارِئِلُ بَاكِيًا : « دَعُونِي أُخْتَبِئُ ! أَغْلِقُوا عَلَيَّ فِي أَيِّ مَكَانٍ . أَوْكُذْ
لَكُمْ أَنَّهُ يَتَعَقَّبُنِي ، وَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُ وَقَالَ إِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي ، وَسَيَفْعَلُ . »

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ : « إِنَّكَ الْآنَ فِي أَمَانٍ ، وَأَبَابُ
مُغْلَقٌ كَمَا تَرَى . . وَلَكِنْ لِمَ كُلُّ هَذَا ؟ »

قَالَ مَارِئِلُ : « خَبِّثُونِي ! » ثُمَّ أَطْلَقَ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً حِينَ زَعَزَعَتْ
فَجْأَةً خَبْطَةً قَوِيَّةً أَبَابَ الْمُغْلَقَ . وَأَعْقَبَتْ الْخَبْطَةُ طَرَقَاتٍ مُتتَابِعَةً
وَزَعِيقٌ خَارِجَ الْأَبَابِ .

صاح الشرطي : « مَنْ هُنَاكَ ؟ »

وصرخ مارفل : « إِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي ... إِنْ مَعَهُ مُدْيَةٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ .

لا تَفْتَحُوا الْبَابَ ... أَرْجُوكُمْ أَلَّا تَفْتَحُوا الْبَابَ .. أَيْنَ أَخْتَبِئُ ؟ »

تساءل ذو اللحية السوداء وإحدى يديه وراءه : « أَهَذَا هُوَ إِذَا

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ؟ أَظُنُّ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِكَيْ نَرَاهُ . »

وفجأة تهشمت نافذة الفندق ، وتعاليت الصرخات ، وراح الناس

يجرون في الشارع . واعتلى الشرطي مقعداً ، وأخرج رأسه من النافذة

محاولاً أَنْ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابَ . ثُمَّ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ الْمَقْعَدِ

وقال : « إِنَّهُ ذَلِكَ الَّذِي تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ . »

ووقف عايل المطعم أمام باب الرذهة التي كان السيد مارفل

مختبئاً فيها ، وراح يحدث إلى النافذة المهشمة ، ثُمَّ أَتَتْهُ نَاجِيَةُ الرَّجُلَيْنِ

الآخرين .

وفجأة ساد السكون المكان ، فقال الشرطي : « أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ

عَصَايَ مَعِي ؛ فَإِذَا فَتَحْنَا الْبَابَ دَخَلَ ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ شَيْءٌ . »

قال الحوذي بنبوة قلبي : « لَا تَتَعَجَّلْ فَتَحِ الْبَابَ . »

قَالَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ : « افْتَحُوا الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلَ ... »
وَأَبْرَزَ يَدَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ تُمَسِّكُهُ بِمُسَدَّسٍ .

قَالَ الشَّرْطِيُّ : « هَذَا لَا يَجُوزُ . تِلْكَ جَرِيْمَةُ قَتْلِ . »

رَدَّ ذُو اللَّحْيَةِ : « إِنِّي أَعْرِفُ قَانُونَ هَذِهِ الْبِلَادِ . سَأُطْلِقُ النَّارَ عَلَى
سَاقِيهِ . افْتَحِ الْبَابَ . »

أَجَابَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « كَيْفَ أَفْتَحُهُ وَ الْمُسَدَّسُ وَرَاءَ
ظَهْرِي ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ : « سَرَى ! » ثُمَّ تَقَدَّمَ وَ مُسَدَّسُهُ
مُعَدٌّ فِي يَدِهِ ، وَ فَتَحَ بِنَفْسِهِ قُفْلَ الْبَابِ ، وَ أَخَذَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ وَالْحَوْذِيَّ
وَ الشَّرْطِيَّ يَتَلَفَّتُونَ حَوْلَهُمْ .

قَالَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ ، وَقَدْ ارْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ ،
وَوَقَفَتْ مُوَاجِهًا الْبَابَ ، وَ مُسَدَّسُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ : « ادْخُلْ ! » وَلَكِنَّ أَحَدًا
لَمْ يَدْخُلْ ، وَ ظَلَّ الْبَابُ مُغْلَقًا .

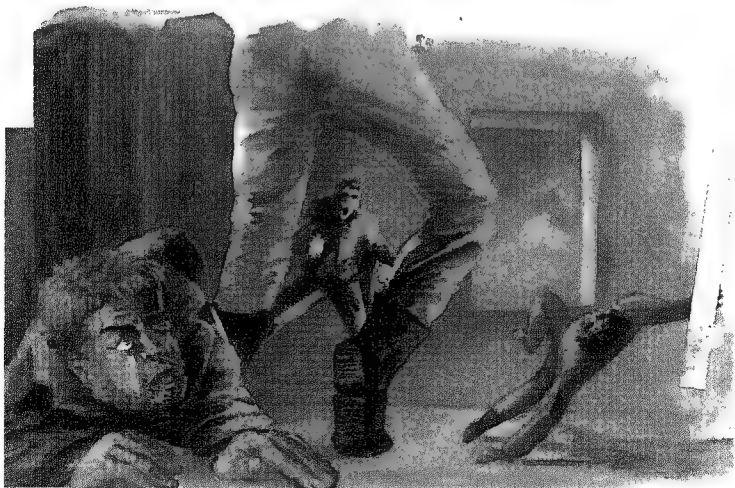
إِنْقَضَتْ خَمْسُ دَقَائِقَ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ ، فَسَأَلَ مَارِئِلُ : « هَلْ
كُلُّ أَبْوَابِ الْفُنْدُوقِ مُغْلَقَةٌ ؟ إِنَّهُ يَمُرُّ آلَانٌ بِالْأَبْوَابِ الْخَلْفِيَّةِ . »

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « هُنَاكَ بَابُ الْفِنَاءِ ، وَالْبَابُ الْخَاصُّ .
وَبَابُ الْفِنَاءِ ... » وَأَنْطَلَقَ يَجْرِي مُغَادِرًا الْمَكَانَ .

وَعَادَ بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَفِي يَدِهِ سِكِّينٌ حَادَّةٌ طَوِيلَةٌ ، وَقَالَ : « كَانَ بَابُ
الْفِنَاءِ مَفْتُوحًا . »

عَقَّبَ الْحَوِذِيُّ قَائِلًا : « لَعَلَّهُ الْآنَ دَاخِلَ الْفُنْدُقِ . »

أَعَادَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ مُسَدَّسَهُ إِلَى جَيْبِهِ ، وَفِيهَا هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ
أَنْكَسَرَ قُفْلُ الْبَابِ ، وَأَنْدَفَعَ شَيْءٌ بِجَوَارِهِمْ وَتَجَاوَزَهُمْ ، وَفُتِحَ بَابُ الرَّذْهَةِ
يُعْنِفُ . وَتَنَاهَتْ إِلَى أَسْمَاعِهِمْ صَرْخَةٌ أَطْلَقَهَا مَارِزِلٌ ؛ فَحَقَّقُوا إِلَى
نَجْدَتِهِ . وَأَطْلَقَ ذُو اللَّحْيَةِ مُسَدَّسَهُ ، وَتَهَشَّمَتِ الْمِرْأَةُ الَّتِي تَتَصَدَّرُ



الرَّذْمَةَ ، وَتَنَاثَرَتْ شَطَايَاهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَعِنْدَمَا دَخَلَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ إِلَى الْغُرْفَةِ رَأَى مَارِئِلَ يُقَاوِمُ عِنْدَ
الْبَابِ الْمُقْفِضِي إِلَى الْفِنَاءِ وَالْمَطْبَخِ . ثُمَّ رَأَى الْبَابَ يُفْتَحُ عَلَى
مِصْرَاعَيْهِ ، وَ رَأَى مَارِئِلَ يُجْرُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى الْمَطْبَخِ .

كَانَ الشَّرْطِيُّ يُجَاوِلُ أَنْ يَتَخَطَّى عَامِلَ الْمَطْعَمِ ، فَلَمَّا تَسَنَّى لَهُ
ذَلِكَ ؛ أَنْدَفَعَ مُسْرِعًا وَالْحَوِذِيُّ وَرَاءَهُ ، وَقَبَضَ عَلَى يَدِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ
الَّتِي تُمْسِكُ بِمَارِئِلَ ، وَلَكِنَّهُ تَلَقَّى لَكْمَةً فِي وَجْهِهِ طَرَحَتْهُ أَرْضًا .
وَعِنْدَئِذٍ اسْتَطَاعَ الْحَوِذِيُّ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى شَيْءٍ وَصَاحَ : « لَقَدْ
أَمْسَكْتُهُ . »

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « هَا هُوَ ذَا ! »

وَسَقَطَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ فَجَاءَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يَرْحَفَ خَلْفَ
أَرْجُلِ الْمُتَقَاتِلِينَ . وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ مَرَّةً بِجِوَارِ الْبَابِ وَمَرَّةً أُخْرَى بَعِيدًا
عَنْهُ . وَسَمِعَ صَوْتَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ حِينَ دَاسَ الشَّرْطِيُّ عَلَى
قَدَمِهِ ، فَصَرَخَ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ أَنَهَالَتْ لَكَمَاتُهُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ . وَصَرَخَ الْحَوِذِيُّ
فَجَاءَهُ ، وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أَصَابَتْ مِعِدَّتَهُ رَكْلَةٌ . وَأَنْصَفَتْ بَابَ

الْمَطْبَخِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّلَ مِنْهُ السَّيِّدُ مَارِئِلَ . وَأَلْفَى الرِّجَالَ الَّذِينَ فِي
الْمَطْبَخِ أَنْفُسَهُمْ يُقَاتِلُونَ الْهَوَاءَ .

وَصَاحَ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ : « أَيْنَ ذَهَبَ ؟ هَلْ خَرَجَ ؟ »

أَجَابَ الشَّرْطِيُّ وَهُوَ يَمْضِي إِلَى الْفِنَاءِ مُسْرِعًا ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ : « مِنْ
هَذَا الطَّرِيقِ . »

وَرَأَى حَجَرًا يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَمُرُّ بِمُحَاذَةِ رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ
فَوْقَ مَبْضِذَةِ الْمَطْبَخِ .

صَاحَ ذُو اللَّحْيَةِ : « سَأُرِيهِ . » وَأَطْلَقَ خَمْسَ رَصَاصَاتٍ مُتتَالِيَةٍ فِي
الْأَتَجَاهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ الْحَجَرُ .

وَكَانَ يُطْلِقُ النَّارَ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ حَتَّى تَغْطِيَ كُلَّ أَنْحَاءِ
الْفِنَاءِ الصَّغِيرِ الضَّيِّقِ .

وَأَعْقَبَ ذَلِكَ سُكُونٌ ، ثُمَّ قَالَ : « هَيَّا بِنَا نَتَلَمَّسُ جُسَّتَهُ . »

الفصل الخامس عشر زائر الدكتور كمْب

كَانَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ جَالِسًا إِلَى مَكْتَبِهِ ، مُنْهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ ، حِينَ سَمِعَ دَوِيَّ الطَّلَقَاتِ النَّارِيَّةِ الْمُتَابِعَةِ .

وَوَضَعَ الْقَلَمَ فِي فَمِهِ قَائِلًا : « مَا هَذَا ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يُطْلِقُ النَّارَ فِي بَرْدُوكَ ؟ تَرَى مَا الَّذِي يَجْرِي الْآنَ ؟ »

وَمَضَى إِلَى النَّافِذَةِ الْمُطْلَةِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَفَتَحَهَا وَأَطْلُ بِرَأْسِهِ مِنْهَا ، وَحَدَّقَ فِي أَجْجَاءِ الْقَرْيَةِ ، وَقَالَ : « يَبْدُو أَنَّ ثَمَّةَ حَشْدًا مِنَ النَّاسِ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ بِالقُرْبِ مِنْ فُنْدُقِ " الكريكتارز " ، ثُمَّ أَخَذَتْ عَيْنَاهُ تَجُولَانِ بِأَرْجَاءِ الْقَرْيَةِ حَتَّى اسْتَقَرَّتَا عَلَى الْأَضْوَاءِ الْمُنبِعَةِ مِنَ السُّفُنِ الرَّاسِيَةِ بَعِيدًا . وَكَانَ الْقَمَرُ لَا يَزَالُ هِلَالًا يُطِلُّ عَلَى التَّلِّ نَاحِيَةَ الْغَرْبِ ، وَ النُّجُومُ مُضِيئَةٌ مُتَلَالِيَةٌ .

وَبَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقَ أَغْلَقَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ النَّافِذَةَ ، وَعَادَ إِلَى

مَكْتَبِهِ . وَبَعْدَ قُرَابَةِ السَّاعَةِ دُقَّ جَرَسُ أَلْبَابِ الْأَمَامِيِّ ، وَلَبِثَ فِي مَكَانِهِ مُنْصِتًا ، ثُمَّ سَمِعَ وَقَعَ خُطَوَاتِ الْخَادِمَةِ وَهِيَ تَتَجَهُّ إِلَى أَلْبَابِ ، وَتَوَقَّعَ أَنَّ يَسْمَعَ خُطَاَهَا وَهِيَ تَرْتَقِي الدَّرَجَ فِي طَرِيقِهَا إِلَيْهِ ، بَيِّنًا أَنَّهَا لَمْ تَحْضُرْ .

قَالَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ : « إِنِّي لَأَعْجَبُ ! مَنْ كَانَ هَذَا ؟ ! »

وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عَمَلَهُ ، وَلَكِنَّهُ أَخْفَقَ ، فَرَايَلَ مَقْعَدَهُ ، وَنَزَلَ مِنْ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ، وَدَقَّ الْجَرَسَ ، وَنَادَى الْخَادِمَةَ حِينَ رَأَاهَا تَجْتَازُ الْبَهْرَ .

سَأَلَهَا : « مَنْ كَانَ ذَلِكَ الطَّارِقُ ؟ أَمْ هُوَ مُوزِعُ الْبَرِيدِ يَحْمِلُ إِلَيَّ

خُطَابًا ؟ »

أَجَابَتْ : « كَلَّا يَا سَيِّدِي . لَقَدْ دُقَّ الْجَرَسُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ

أَحَدًا . »

رَجَعَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَهُوَ يَرْدُدُ فِي نَفْسِهِ : « إِنَّهُ

لَأَمْرٌ عَجِيبٌ يُثِيرُ قَلْقِي ! »

وَمَا إِنْ أَنْقَضَتْ لَحَظَاتُ حَتَّى كَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي عَمَلِهِ ، وَكَانَ

السُّكُونُ يَشْمَلُ الْحُجْرَةَ فِيمَا عَدَا دَقَاتِ السَّاعَةِ الرَّثِيَّةَ ، وَصَرِيرَ الْقَلَمِ
وَهُوَ يَجْرِي عَلَى الْوَرَقِ .

وَيَلْتَقِ السَّاعَةُ الثَّانِيَّةَ بَعْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ الدُّكْتُورُ
كَيْتَابَ مَنْ عَمِلَ ، فَهَضَّ وَأَرْتَقَى الدَّرَجَ صَاعِدًا إِلَى مِخْدَعِهِ . وَبَعْدَ أَنْ
خَلَعَ سُرْتَهُ وَقَمِيصَهُ أَحْسَ بِالْعَطَشِ ، فَأَخَذَ شَمْعَةً وَنَزَلَ إِلَى قَاعِ
الطَّعَامِ طَلَبًا لِلْمَاءِ .

وَكَانَ الْعَمَلُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي يُمَارِسُهُ الدُّكْتُورُ كَيْتَابَ قَدْ جَعَلَهُ رَجُلًا
دَقِيقًا قَوِيَّ الْمُلَاحَظَةِ ؛ فَرَأَى - وَهُوَ يَعْبُرُ الْبَهْوَ - بُقْعَةً دَاكِئَةً عَلَى
الْأَرْضِ بِجَوَارِ السُّلَمِ .

وَصَعِدَ الدَّرَجَ مُتَمَهِّلًا ، وَفَجْأَةً أَخَذَ يَتَسَاءَلُ عَنْ مَا هِيَ هَذِهِ الْبُقْعَةُ
الذَّاكِئَةُ . وَعَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْبَهْوِ ، وَأَنْحَنَى فَوْقَ الْبُقْعَةِ وَلَمَسَهَا ،
وَأَدْرَكَ أَنَّ هَا كَثَافَةُ الدَّمِ الْمُتَجَمِّدِ وَلَوْنُهُ .

وَعَادَ وَصَعِدَ السُّلَمَ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ وَيُفَكِّرُ فِي بُقْعَةِ الدَّمِ . وَفَجْأَةً
رَأَى شَيْئًا جَعَلَهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيْرِ ؛ فَقَدْ رَأَى دَمًا عَلَى مِقْبَضِ الْبَابِ .
وَنَظَرَ إِلَى يَدَيْهِ ، فَوَجَدَهَا نَظِيفَةً ، وَ عِنْدَمَا نَزَلَ مِنْ مَكْتَبِهِ تَذَكَّرَ أَنَّ

بَابُ حُجْرَتِهِ كَانَ مَفْتُوحًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْبَسِ الْعِقْبَضَ قَطُّ . وَمَضَى إِلَى
مُخْدَعِهِ ، وَمَلَامِحُ وَجْهِهِ هَادِئَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَشَدَّ عَزْمًا وَتَضَمِيمًا مِنْ
عَادَتِهِ الْمَأْلُوفَةِ . وَتَطَلَّعَ إِلَى الْفِرَاشِ ، فَإِذَا بِبِرْكَةِ دَمٍ تَتَوَسَّطُهُ ،
وَمَلَأَةُ السَّرِيرِ مُمَزَّقَةً ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ لَاحَظَ هَذَا وَهُوَ فِي الْحُجْرَةِ مِنْ
قَبْلُ . أَمَّا النَّاحِيَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْفِرَاشِ فَقَدْ بَدَتْ وَكَانَ ثَمَّةَ شَخْصًا يَرْقُدُ
عَلَيْهَا .

عِنْدَئِذٍ خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتًا خَافِتًا يَقُولُ : « يَا إِلَهِي ! أَهَذَا
أَنْتَ يَا كِمْب ؟ » بَيِّنْدَ أَنْ كِمْبَ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْوَاتِ
الْخَفِيَّةِ .

لَيْتَ كِمْبَ مَكَانَهُ يُحَدِّقُ فِي الْفِرَاشِ . أَكَانَ هَذَا حَقًّا صَوْتًا ؟ وَأَدَارَ
بَصَرَهُ فِيمَا حَوْلَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ شَيْئًا . بَيِّنْدَ أَنَّهُ سَمِعَ
بُوضُوحٍ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الْحُجْرَةِ ، وَدَاخِلَهُ شُعُورٌ غَرِيبٌ ، فَأَسْرَعَ
وَأَغْلَقَ أَلْبَابَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ . وَفَجْأَةً أَبْصَرَ ضِمَادَةً مُلَوَّنَةً بِالدَّمِ ، مُعَلَّقَةً
فِي الْهَوَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِرَاشِ .

وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِدَهْشَةٍ ، وَكَانَتْ ضِمَادَةً فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا ، وَكَانَتْ
مَعْقُودَةً بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ خَاوِيَةً . وَهَمَّ بِأَنْ يُمْسِكَهَا ،

وَلَكِنَّ لِمَسَّةَ يَدٍ أَوْفَقَتْهُ مَكَانَهُ ، وَسَمِعَ صَوْتًا عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ ، يَتَحَدَّثُ
إِلَيْهِ .

قَالَ الصَّوْتُ : « كَيْمَب ! »

فَقَالَ كَيْمَبُ وَقَدْ فَتَحَ فَمَهُ مِنْ فَرْطِ دَهْشَتِهِ : « آه ! »

قَالَ الصَّوْتُ : « إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

لَبِثَ كَيْمَبُ بَرْهَةً مُطْبِقًا فَمَهُ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا يُحَدِّقُ إِلَى الضَّمَادَةِ ،
ثُمَّ قَالَ مُتَسَائِلًا : « الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ؟ ! »

وَكَرَّرَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قَالَ كَيْمَبُ : « حَسِبْتُ الْأَمْرَ أَكْذُوبَةً . » وَتَسَاءَلَ : « هَلْ تَضَعُ
ضِمَادَةً ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « نَعَمْ . »

عَقَّبَ كَيْمَبُ بِقَوْلِهِ : « فَهَيْئَتُ ! » ثُمَّ أَرْدَفَ : « أَلَيْسَ هَذَا هُرَاءً ؟
لَا بُدَّ أَنْ فِي الْأَمْرِ خُدْعَةٌ . » وَخَطَا إِلَى الْأَمَامِ فَجَاءَهُ ، وَمَدَّ يَدَهُ فِي أَتْجَاهِ
الضَّمَادَةِ ، فَأَصْطَدَمَتْ بِأَصَابِعِ خَفِيَّةٍ .

« إِهْدَأْ يَا كَيْمَبُ ! سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَهْدَأَ ! إِنِّي فِي مَسِيرِ الْحَاجَةِ إِلَى

الْمُسَاعَدَةِ ! كُفَّ عَنْ هَذَا . »

وَأُطْبِقْتُ عَلَى ذِرَاعِ كِمْبِ يَدِ خَفِيَّةٍ ، وَتَشَبَّثْتُ بِهَا ، وَصَاحَ الصُّرْتُ : « كِمْب ! تَمَاسِكَ وَاهَذَا ! »

وَتَمَلَّكْتُ كِمْبَ رَغَبَةٍ فِي أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْيَدِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى ذِرَاعِهِ ، وَلَكِنَّ الْيَدَ الْخَفِيَّةَ تَشَبَّثَتْ بِكَيْفِيهِ ، وَفَجْأَةً دَفِعَ إِلَى الْخَلْفِ دَفْعَةً قَوِيَّةً فَوَقَعَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَفَتَحَ فَمَهُ لِيُطْلِقَ صَرْخَهُ ، وَلَكِنَّ قَبْلَ أَنْ تَنْطَلِقَ الصَّرخَةُ حُشِرَ طَرَفُ الْمَلَأَةِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ، فَعَجَزَ عَنِ الصِّيَاحِ . وَكَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ مُمَسِّكًا بِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ ذِرَاعَاهُ طَلِيقَتَيْنِ ؛ فَحَاوَلَ أَنْ يَضْرِبَ وَ يَرْكَلَ بِعُنْفٍ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « أَصْغِرْ إِلَى صَوْتِ الْعَقْلِ يَا رَجُلُ ! سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَتَعَقَلَ . إِنَّكَ بِهَذَا سَتَجْعَلُنِي أَجْنُ ! كُفَّ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ ، وَارْقُدْ هَادِئًا ! قُلْتُ لَكَ أَرْقُدْ هَادِئًا ! »

مَضَى كِمْبُ يُقَاوِمُ لَحِظَةً أُخْرَى ، ثُمَّ هَذَا وَسَكَنَ .

قَالَ : « دَعْنِي أَنْهَضُ ، وَسَأَظِلُّ مَكَانِي لَا أَغَادِرُهُ . ائْتُرْكْنِي أَجْلِسُ هَادِئًا دَقِيقَةً . »

وَأَعْتَدَلْ جَالِسًا ، وَتَحَسَّسْ عُنْفُهُ .

إِنِّي مُجَرَّدُ شَخْصٍ عَادِيٍّ - شَخْصٍ كُنْتُ تَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أَصْبَحَ خَفِيًّا . هَلْ تَذْكُرُ غَرِيفِينَ ؟

تَسْأَلُ كَيْمَبُ : « غَرِيفِينَ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، غَرِيفِينَ . . الطَّالِبُ الَّذِي كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنًا . »

« وَلَكِنْ مَا عِلَاقَةُ هَذَا بِغَرِيفِينَ ؟ »

« إِنِّي أَنَا غَرِيفِينَ . »

فَكَرَّ كَيْمَبُ ثُمَّ قَالَ : « هَذِهِ صَدْمَةٌ عَنِيفَةٌ ، وَلَكِنْ أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الشَّيْطَانِ يُحَوِّلُ الْمَرْءَ إِلَى رَجُلٍ خَفِيٍّ ؟ ! »

« لَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الشَّيْطَانِ . إِنَّهُ عَمَلٌ شَرِيفٌ وَبَسِيطٌ لِلْغَايَةِ . »

« إِنَّهُ عَمَلٌ رَهيبٌ ! كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ . . . ؟ »

قَاطَعَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِقَوْلِهِ : « إِنِّي جَرِيحٌ وَآتَأَلُّمُ وَ مِنْهُوَ الْقَوَى . كَيْمَبُ ! إِنَّكَ إِنْسَانٌ . وَأَرْجُوكَ أَنْ تَهَذَا ، وَتُقَدِّمَ لِي طَعَامًا

وَشَرَابًا ، وَ تَتَرَكْنِي أَجْلِسُ هُنَا . »

وَ أَخَذَ كِمْبَ يُحَدِّقُ إِلَى الضَّمَادَةِ وَ هِيَ تَتَحَرَّكُ فِي الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ رَأَى مَقْعَدًا يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَ يَسْتَقِرُّ بِجَوَارِ الْفِرَاشِ . وَ سَمِعَ صَرِيرَهُ ، وَ شَاهَدَهُ يَنْخَفِضُ قَلِيلًا كَأَنَّمَا جَلَسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَفَرَكَ عَيْنَيْهِ ، وَ تَحَسَّسَ عُنُقَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَالَ وَ هُوَ يَضْحَكُ ضِحْكَةً بَلْهَاءَ : « هَذَا يَفُوقُ مَا تَفْعَلُهُ الْأَشْبَاحُ . »

« حَمْدًا لِلَّهِ . إِنَّكَ آلَانَ تَبْدُو أَكْثَرَ تَعْقُلًا ! »

قَالَ كِمْبَ وَ هُوَ يَقْرُكُ عَيْنَيْهِ : « أَوْ أَكْثَرَ غَبَاءً . »

« أُعْطِنِي كَوْبًا مِنْ عَصِيرِ اللَّيْمُونِ ، فَالْعَطَشُ يَكَادُ يَقْتُلُنِي . »

« وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ هَبْنِي قُمْتُ وَمَشَيْتُ ، فَهَلْ أَصْطَلِمُ بِكَ ؟ هَلْ

أَنْتَ هُنَاكَ ؟ فَلْيَكُنْ . . . أَ تُرِيدُ كَوْبًا مِنْ عَصِيرِ اللَّيْمُونِ ؟ وَلَكِنْ أَيْنَ

أَقْدَمُهُ لَكَ ؟ »

أَحَسَّ كِمْبَ بِالْكَوْبِ يُتَرَعُّ مِنْ يَدِهِ ، فَأَفْلَتَهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ،

وَتَرَكَهُ يَسْبَحُ فِي الْهَوَاءِ وَ يَسْتَقِرُّ عَلَى مَسَافَةٍ يَصِفُ مِثْرًا مِنَ الْمَقْعَدِ ،

فَأَخَذَ يُحَدِّقُ إِلَيْهِ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أَصَدِّقُ هَذَا ! أَمْ تُرَانِي جُئِنْتُ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « هَرَاءُ ! أَصْغِرْ إِلَيَّ ! إِنِّي جَائِعٌ ، وَ الْجَوْ شَدِيدٌ

الْبُرُودَةِ بِالنَّسَبَةِ إِلَى رَجُلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ الثِّيَابِ .

قَالَ كَيْمَبُ : « أَ تُرِيدُ طَعَامًا ؟ »

أَفْرَغَ كُوبُ الْيَمِينِ نَفْسَهُ ، وَقَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَهُوَ يَضَعُهُ عَلَى الْمِنْضَدَةِ : « أَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعْطِنِي شَيْئًا أُرْتَدِيهِ ؟ »

وَجَاءَهُ كَيْمَبُ بِبَعْضِ الثِّيَابِ وَ سَأَلَهُ : « أَ تُنَاسِبُكَ هَذِهِ ؟ »

وَأَخَذَتِ الْمَلَائِسُ مِنْ يَدِهِ ، وَلَبِثَتْ مُعَلَّقَةً فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ زُرُرَتْ وَاسْتَقَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ جَالِسَةً عَلَى الْمَقْعَدِ .

قَالَ كَيْمَبُ : « هَذَا شَيْءٌ يُفْقِدُ الْمَرْءَ عَقْلَهُ ، وَلَمْ أَرْ لَهُ مِثْلًا فِي حَيَاتِي . »

« إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ . »

مَضَى كَيْمَبُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَ عَادَ بِبَعْضِ الْخُبْزِ وَ اللَّحْمِ ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى الْمِنْضَدَةِ أَمَامَ ضَيْفِهِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « لَا دَاعِيَ لَأَنْ تُحْضِرَ سِكِّينًا ! »

وَأَرْتَفَعَتْ قِطْعَةٌ لَحْمٍ وَ تَعَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ اخْتَفَتْ مَضْحُوبَةً بِصَوْتِ الْمَضْغِ .



قَالَ : « إِنِّي أُحِبُّ دَائِمًا أَنْ أَكُونَ مُرْتَدِيًا يُيَايِي وَأَنَا أَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ . »

« هَلْ ذِرَاعُكَ سَلِيمَةٌ ؟ »

« إِنَّمَا تَوَلَّسْتُ قَلِيلًا . »

« هَذَا أَمْرٌ يُثِيرُ الْجُنُونَ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « إِنَّهُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ جِدًّا ! »

تَسَاءَلَ كَيْمَبَ : « لَكِنْ كَيْفَ أَصِيبَتْ ؟ لِمَاذَا كَانَتْ الطَّلَقَاتُ ؟ كَيْفَ

بَدَأَ إِطْلَاقُ النَّارِ ؟ »

« لَقَدْ قَابَلْتُ رَجُلًا ، وَ حَاوَلْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ يُسَاعِدُنِي . لَعَنَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ ! لَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَسْرِقَ ثَقُودِي ، وَ قَدْ سَرَقَهَا فِعْلاً . »

« أَمْ هُوَ أَيْضًا رَجُلٌ خَفِيٌّ ؟ »

« كَلَّا . »

« وَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« أَيْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ أَرُويَ لَكَ كُلَّ

شَيْءٍ ؟ إِنِّي جَائِعٌ ، وَالْجُرْحُ يُؤْلِمُنِي ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أُحْكِيَ لَكَ

حِكَايَاتٍ ! »

نَهَضَ كِمْبٌ وَاقِفًا وَ سَأَلَهُ : « وَأَنْتَ ، هَلْ أَطْلَقْتَ النَّارَ ؟ »

أَجَابَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « كَلَّا ، لَمْ أَطْلِقْ نَارًا ، وَ الَّذِي أَطْلَقَ

النَّارَ رَجُلٌ أَحْمَقٌ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ بَصْرِي مِنْ قَبْلِ . وَفَزَعَ كَثِيرٌ مِنَ

النَّاسِ . . . فَزَعُوا مِنِّي . لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ! قُلْتُ لَكَ أُرِيدُ مَزِيدًا

مِنَ الطَّعَامِ يَا كِمْبُ . »

أَجَابَ كِمْبُ : « سَأَرَى إِنْ كَانَ فِي الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ طَعَامٌ . وَ أَخْشَى

أَلَّا يَكُونَ لَدَيَّ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا . »

وَعَادَ كِمْبُ بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ الضَّيْفُ طَلَبَ إِلَيْهِ

كِمْبُ أَنْ يُحَاوَلَ النَّوْمَ .

الفصل السادس عشر الرجل الخفي ينام

رَغِمَ أَنْ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ كَانَ جَرِيحًا مَنُوكَ الْقَوَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَبَى أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى وَغْدِ كَيْمَبٍ بِأَنَّهُ لَنْ يُحَاوِلَ أَحَدٌ الْقَبْضَ عَلَيْهِ . فَفَحَصَ نَافِذَتِي حُجْرَةَ النَّوْمِ ، وَأَزَاحَ السُّتَائِرَ وَفَتَحَ النَّافِذَتَيْنِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ طَرِيقَيْهِمَا كَمَا قَالَ لَهُ كَيْمَبُ . وَكَانَ اللَّيْلُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ سَاكِئًا لِلْغَايَةِ ، وَكَانَ الْقَمَرُ يَتَهَيَّأُ لِأَنْ يَتَوَارَى وَرَاءَ التَّلِّ . ثُمَّ فَحَصَ مِفْتَاحَ بَابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ رِضَاهُ التَّامِّ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِ الْمِدْفَأَةِ ، وَنَدَّتْ عَنْ صَدْرِهِ تَهْنِئَةٌ تُوْحِي بِالْكَسَلِ وَالرُّغْبَةِ فِي النَّوْمِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « يُؤَسِّفُنِي أَلَّا أَسْتَطِيعَ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فَعَلْتُهُ اللَّيْلَةَ . إِنِّي مُرْمَقٌ ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْحِمَاقَةِ دُونَ رَيْبٍ . إِنَّهُ لِأَمْرٍ قَاطِعٍ ! وَلَكِنْ صَدَّقَنِي يَا كَيْمَبُ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ ، رَغِمَ حُجْجَكَ ، مُمَكِّنَةٌ . . لَقَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى اكْتِشَافِ هَامٍّ ، وَقَصَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا ،

وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ ؛ إِذْ لَا بُدَّ لِي مِنْ مُسَاعِدَةٍ . وَأَنْتَ . . . إِنَّا نَسْتَطِيعُ
مَعًا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ . . . وَلَكِنْ إِلَى الْغَدِ . وَالْآنَ
يَا كَيْمَبُ يَجِبُ أَنْ أَنَامَ وَ إِلَّا فَسَأَمُوتُ . »

الفصل السابع عشر

كَيْفَ تُصْبِحُ خَفِيًّا ؟

في صباح اليوم التالي تَنَاهَتْ إلى سَمْعِ كِمْبِ جَلْبَةٌ عَالِيَةٌ ؛ فَمَضَى لِيُوقِظَ ضَيْفَهُ .

سَأَلَ كِمْبِ حِينَ سَمَحَ لَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِالدُّخُولِ : « مَا الْخَبْرُ ؟ »

وَكَانَ الْجَوَابُ : « لَا شَيْءَ . »

قَالَ كِمْبِ : « وَلَكِنِّهَا ضَجَّةٌ شَدِيدَةٌ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « كُنْتُ غَاضِبًا . وَقَدْ نَسِيتُ ذِرَاعِي ، وَهَامِي ذِي تُؤْلِمُنِي . »

سَأَلَهُ كِمْبِ : « أَمْ مِنْ عَادَتِكَ أَنْ تَتَوَرَّعَ غَضَبًا ؟ »

« هَذَا صَحِيحٌ . »

« إِنَّ قِصَّتَكَ مَنشُورَةٌ بِأَكْمَلِهَا فِي الصُّحُفِ . »

وَأَخَذَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَسْبُ وَيَلْعَنُ .

قَالَ كَيْمَبُ : « تَعَالَ وَتَنَاوَلْ فَطُورَكَ . وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيُّ شَيْءٍ
آخَرَ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ عَنْكَ الْمَزِيدَ . » وَكَانَ قَدْ اسْتَوَى جَالِسًا ، وَعَلَى
وَجْهِهِ سِمَاتُ الْجِدِّ وَالْاهْتِمَامِ .

قَالَ غَرِيبَيْنِ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « إِنَّ الْأَمْرَ فِي غَايَةِ الْبَسَاطَةِ . »
ضَحِكَ كَيْمَبُ وَقَالَ : « إِنَّ الْأَمْرَ بِلاَ شَكٍّ بَسِيطٌ لِلْغَايَةِ بِالنِّسْبَةِ
إِلَيْكَ ، وَلَكِنْ ... »

« نَعَمْ ، لَقَدْ بَدَأَ الْأَمْرُ لِي فِي الْبِدَايَةِ عَجِيبًا بِلاَ شَكٍّ . وَلَكِنَّا سَوْفَ
نَعْمُ بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ يَا صَدِيقِي ! لَقَدْ أَكْتَشَفْتُ السَّرَّ بَادِيٍّ ذِي بَدْءٍ وَأَنَا
فِي كُلِّيَّةِ شِيرْلستو . »
« شِيرْلستو ؟ »

« نَعَمْ ، فَبَعْدَ أَنْ غَادَرْتُ لَنْدُنَ التَّحَقَّقْتُ بِكُلِّيَّةِ شِيرْلستو . وَأَنْتَ
تَعْرِفُ أَنَّنِي كُنْتُ دَائِمًا شَدِيدَ الْاهْتِمَامِ بِالضُّوءِ . »
« بِالضُّبْطِ . »

« قُلْتُ لِنَفْسِي : " سَأُكْرِسُ حَيَاتِي لِهَذَا الْفِرْعِ مِنْ الْعُلُومِ . . إِنَّهُ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ جَهْدِي . " وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَدَى حِمَايَتِنَا فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ . »

قَالَ كِمْبُ : « حَمَقَى آنَذَاكَ وَحَمَقَى الْآنَ ، وَكَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فَحَسْبُ تُرْضِي الْإِنْسَانَ ! »

وَأَسْتَطَرَدَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « لَقَدْ أَكْتَشَفْتُ طَرِيقَةً لِتَغْيِيرِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ ، أَوْ أَيْ جِسْمٍ آخَرَ . . . » وَعِنْدَيْدِ أَوْضَحَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ - وَبِعِبَارَةٍ أَدَقَّ - أَوْضَحَتْ ثِيَابُ الرَّجُلِ الْجَالِسَةِ أَمَامَ كِمْبُ كَيْفَ اخْتَفَى أَحَدُ طَلَبَةِ الْعُلُومِ . وَكَانَ شَرْحًا طَوِيلًا أَسْتَهْلُهُ بِأَن ذَكَرَ كِمْبُ قَائِلًا : « إِذَا أَخَذْتَ قِطْعَةً مِنَ الزُّجَاجِ وَسَحَقْتَهَا فَإِنَّهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى مَسْحُوقٍ أَبْيَضَ صَلْدٍ مِثْلَ الْمِلْحِ ، وَلَا يُمْكِنُ الرَّؤْيَةُ مِنْ خِلَالِهِ . وَلَحْمُ الْإِنْسَانِ ، وَالْوَرَقُ الْأَبْيَضُ ، وَالْقُمَاشُ ، وَالشَّعْرُ ، كُلُّهَا فِي الْوَاقِعِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْمَسْحُوقِ . وَتُحْلَلُ الْحَبِيبَاتُ الدَّقِيقَةُ لِهَذِهِ الْمَسْحُوقِ الضَّوءُ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهَا فَلَا يَنْقُذُ مِنْهَا ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّا نَرَى لَحْمَ الْإِنْسَانِ وَالْوَرَقَ . »

« وَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْسُطَ وَتُسَوِّيَ الْحَبِيبَاتِ الْمُحَطَّمَةَ بِحَيْثُ

لَا تُحْلَلُ الضُّوءُ فَإِنَّمَا لَنْ تَبْدُو صَلْدَةً . وَ عِنْدِيذٍ سَيَنْفُذُ مِنْهَا الضُّوءُ مِثْلَمَا
يَنْفُذُ مِنِّي ضَوْءُ الشَّمْسِ . وَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُجَرَّبَ هَذَا بِقِطْعَةٍ مِنَ الْوَرَقِ
الْأَبْيَضِ وَقَطْرَةٍ مِنَ الزَّيْتِ . فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَضَعَ قَلِيلًا مِنَ الزَّيْتِ عَلَى
الْوَرَقَةِ ، وَ عِنْدِيذٍ سَتَرَى الْأَشْيَاءَ مِنْ خِلَالِهَا . وَإِذَا كَانَ الزَّيْتُ مِنْ نَوْعٍ
جَيِّدٍ تَمَامًا ، وَالْوَرَقَةُ مِنْ نَوْعٍ رَدِيٍّ تَمَامًا ، فَإِنَّكَ سَتَمَكِّنُ مِنْ أَنْ تَرَى مَا
هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى الْوَرَقَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى .

« وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الزَّيْتِ نَاعِمٌ رَفِيقٌ ، وَبِذَلِكَ يُنْعَمُ السُّطْحُ
الْخَشِنَ لِكُلِّ حُبِّيَّةٍ مِنْ حُبِّيَّاتِ الْمَسْحُوقِ .

« وَقَدْ اكْتَشَفْتُ شَيْئًا يَفْعَلُ بِلَحْمِ الْإِنْسَانِ مَا يَفْعَلُهُ الزَّيْتُ
بِالْوَرَقِ ، وَتَأَثِيرُهُ كَامِلٌ رَائِعٌ حَتَّى إِنَّهُ مَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي جَسَدِي تُصَدُّ الضُّوءُ ،
فَكَأَنَّكَ بِذَلِكَ حَوَّلْتَ الزُّجَاجَ الْمَسْحُوقَ إِلَى زُّجَاجٍ سَلِيمٍ مِثْلَ زُّجَاجِ
هَذِهِ الْإِنْفِذَةِ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . »

وَتَنَاوَلَ الْحَوَارِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - شَأْنٌ مَا يَجْرِي بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ -
كُلُّ أَنْوَاعِ الْمَسَائِلِ وَالْإِضَاحَاتِ . وَاسْتَوَلَى الْعَجَبُ الشَّدِيدُ عَلَى
كِمْبٍ حَتَّى إِنَّهُ نَسِيَ أَنْ صَدِيقَهُ كَانَ خَفِيًّا لَا يُرَى .

قَالَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ اكْتَشَفْتُ هَذَا كُلَّهُ ، وَ كَانَ طَرِيقُ

الْبَحْثِ أَمَامِي مَفْتُوحًا ، وَ عِنْدِيذٍ ، وَ بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِّنَ الْإِهْتِمَامِ وَالْعَمَلِ
فِي السِّرِّ ، عَرَفْتُ أَنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا . وَقَدْ أَذْرَكْتُ هَذَا وَ أَنَا
مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِي . وَكَانَ هَذَا بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مِّنَ السَّرِيَّةِ وَالْعَنَاءِ . «

سَأَلَهُ كَيْمَبُ : « لِمَاذَا أَذْرَكْتَ أَنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلَ الْخَفِيُّ : « لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ مَالٌ . » وَذَهَبَ مَرَّةً أُخْرَى
إِلَى النَّافِذَةِ يُحَدِّثُ فِيهَا وَرَاءَهَا .

ثُمَّ أَدَارَ رَأْسَهُ قَائِلًا : « لَقَدْ سَرَقْتُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ . . نَعَمْ سَرَقْتُ
أَبِي ، وَلَمْ يَكُنْ أَلْمَالُ مَالَهُ ، فَانْتَحَرَ بِأَنْ أَطْلُقَ النَّارَ عَلَى نَفْسِهِ . »

الفصل الثامن عشر

في المنزل الواقع في شارع غريت بورتلاند

مَضَتْ لَحْظَةً وَ كَيْتَبَ يَجْلِسُ صَامِتًا يُحْمِلُ إِلَى ظَهْرِ هَذَا
الشَّخْصِ الَّذِي بِلا رَأْسٍ ، وَالْوَاقِفِ عِنْدَ النَّافِذَةِ يُطِلُّ مِنْهَا . ثُمَّ نَهَضَ
وَاقِفًا ، وَ أَمْسَكَ ذِرَاعَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ ، وَ أَبْعَدَهُ عَنِ النَّافِذَةِ قَائِلًا :
« إِنَّكَ مُتَعَبٌ مَكْدُودٌ . فَبَيْنَمَا أَجْلِسُ أَنَا ، تَتَمَشَّى أَنْتَ فِي أَرْجَاءِ
الْغُرْفَةِ . إِلَيْكَ مَقْعَدِي فَأَجْلِسْ . »

وَوَقَفَ بَيْنَ غُرَيْفَيْنِ وَ أَقْرَبِ نَافِذَةٍ مِنْهُ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُشَاهَدَةِ
مَا يَجْرِي فِي الْخَارِجِ .

إِنْقَضَتْ قَتْرَةٌ وَ غُرَيْفَيْنِ جَالِسٌ لَا يَذُّ بِالْصُّمْتِ ، ثُمَّ شَرَعَ يُتَابِعُ
قِصَّتَهُ .

قَالَ : « كُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ الْكُلِّيَّةَ عِنْدَمَا حَدَثَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي دَيْسَمْبَرِ
الْمَاضِي . وَ قَدْ نَزَلْتُ بِغُرْفَةٍ فِي لَنْدَنَ فِي مَنْزِلٍ كَبِيرٍ فِي شَارِعِ غُرَيْتِ

بُورتلاند . بَدَا الْأَمْرُ عِنْدِي أَشْبَهَ حُلْمٍ . . . تِلْكَ الزَّيَارَةُ الْفَصِيرَةُ
لَأَبِي فِي بَيْتِنَا الْعَتِيقِ ، ثُمَّ الْعَوْدَةُ إِلَى عُرْفَتِي . لَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ عِنْدَيْدِ أَنْي
أَفْقْتُ مِنْ حُلْمٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ . هُنَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي
عَرَفْتُهَا وَ أَحَبَبْتُهَا . . . هُنَا كَانَتِ الْمُعَدَّاتُ تَنْتَظِرُنِي . . . وَ التَّجَارِبُ
مُهَيَّاةٌ تَتَرَقَّبُ عَوْدَتِي . . . وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ صُعُوبَةٍ تَعْتَزُّضُ الطَّرِيقَ ، فِيمَا
عَدَا تَخْطِيطَ التَّفَاصِيلِ .

وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ ، إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، يَا كَيْمَبُ بِالتَّفَاصِيلِ الْمُعَقَّدَةِ
الْمُتَشَابِكَةِ ، إِذْ إِنَّا لَسْنَا بِحَاجَةٍ الْآنَ إِلَى أَنْ نَطْرُقَهَا .

إِنِّي مَا زِلْتُ أَذْكَرُ الْقَلِيلَ مِنْهَا ، أَمَّا مُعْظَمُهَا فَمُدَوَّنٌ بِالرُّمُوزِ فِي تِلْكَ
الْكُتُبِ الَّتِي أَخْفَاهَا ذَلِكَ الْأَفَاقُ ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَقَّبَهُ وَ نَقْبِضَ
عَلَيْهِ . فِي الْبِدَايَةِ أَجْرَيْتُ التَّجَرِبَةَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الصُّوفِ الْأَبْيَضِ ،
وَكَانَ أَغْرَبَ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَرَاهَا تَتَلَاشَى كَالدُّخَانِ وَ تَحْتَفِي .

« وَكَذْتُ لَا أَصْدُقُ أَنَّي فَعَلْتُ هَذَا ، وَادْخَلْتُ يَدِي فِي الْفَرَاغِ ،
فَلَمَسْتُ قِطْعَةَ الصُّوفِ جَامِدَةً مُتَجَسِّدَةً . نَعَمْ شَعَرْتُ بِهَا ، وَالْقَيْتُ بِهَا
عَلَى الْأَرْضِ ، وَعَانَيْتُ شَيْئًا مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهَا ثَانِيَةً . »
« عِنْدَيْدِ سَمِعْتُ صَوْتًا خَلْفِي ، وَحِينَ اسْتَدْرْتُ رَأَيْتُ عِنْدَ النَّافِذَةِ

قِطَّةٌ بَيْضَاءُ شَدِيدَةُ الْقَذَارَةِ . وَخَطَرْتُ بِرَأْسِي فِكْرَةً ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
 " كُلُّ شَيْءٍ مُهِمًّا لَكَ " وَ مَضَيْتُ إِلَى النَّافِذَةِ فَفَتَحْتُهَا ، وَنَادَيْتُ الْقِطَّةَ
 بِصَوْتٍ رَفِيقٍ فَدَخَلَتْ . وَكَانَتْ الْمُسْكِينَةُ ظَمْأى ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا قَلِيلًا مِنْ
 اللَّبَنِ ، وَ بَعْدَهَا أَخَذَتْ تَتَجَوَّلُ فِي الْغُرْفَةِ وَتَشْتَمُّ أَرْكَانَهَا لِتَأْتَلَفَ
 الْمَكَانَ . وَأَنَارَتْهَا قَلِيلًا قِطْعَةً الصَّوْفِ الْخَفِيَّةَ ، وَلَيْتَكَ رَأَيْتَهَا وَهِيَ
 تَبْصُقُ عَلَيْهَا ، وَ لِكِنِّي أَرَحْتُهَا بِأَنْ حَمَلْتُهَا إِلَى فِرَاشِي .

سَأَلَ كِمْبُ : « وَعِنْدَيْدِ جَعَلْتَهَا خَفِيَّةً ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، وَقَدْ اسْتَفْرَقَ ذَلِكَ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ . »

سَأَلَ كِمْبُ : « أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ فِي الدُّنْيَا آلَانَ قِطَّةً خَفِيَّةً ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « وَلِمَ لَا ؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ قُتِلْتَ ! »

قَالَ كِمْبُ : « لِمَ لَا ؟ وَاصِلُ حَدِيثِكَ . »

وَصَمَتَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِضَعِّ دَقَائِقٍ ، ثُمَّ قَالَ : « كَانَتْ الْفِكْرَةُ
 الْوَحِيدَةُ الْوَاضِحَةُ فِي ذِهْنِي هِيَ أَنَّ الْعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يَكْتَمَلَ ، وَ أَنَّ
 يَصِلَ إِلَى نِهَائِهِ بِسُرْعَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَدَيَّ مِنَ الْمَالِ إِلَّا النَّزْرُ
 الْقَلِيلُ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ عُذْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَ تَنَاوَلْتُ الطُّعَامَ ،

وَأَوَيْتُ إِلَى الْفِرَاشِ دُونَ أَنْ أَخْلَعَ ثِيَابِي .

« وَصَحَوْتُ فَجَاءَ عَلَى طَرَقَاتٍ عَالِيَةٍ فَوْقَ بَابِي ، وَكَانَ الطَّارِقُ هُوَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ ، وَقَالَ إِنِّي كُنْتُ أُؤْذِي قِطْعَةً فِي الْمَسَاءِ ، وَإِنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ هَذَا ، إِذْ كَانَ يَسْمَعُ مُوَاءَهَا ، وَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَوْضِعِ . وَأَجَبْتُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي غُرْفَتِي أَيْ قِطْعَةٍ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، فَقَالَ إِنَّ الْجَلْبَةَ الَّتِي تُحَدِّثُهَا تَجَارِي تَسْمَعُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبَيْتِ . وَكَانَ عَلَى حَقٍّ فِي هَذَا ، ثُمَّ خَطَا إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ ، وَسَأَلَنِي عَمَّا أَفْعَلُ ، وَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ كَانَ دَائِمًا مَنْزِلًا مُحْتَرَمًا . وَآخِرًا ثَارَ غَضَبِي ، فَدَفَعْتُهُ خَارِجَ الْحُجْرَةِ ، وَأَوْصَدْتُ أَلْبَابَ ، فَأَثَارَ ضَجَّةٍ أَمَامَ بَابِي ، وَلَكِنِّي لَمْ أُحْفِلْ بِهِ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ أَنْصَرَفَ .

« وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَذْرِي مَاذَا يَنْوِي أَنْ يَفْعَلَ ، وَلَا حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ . وَكَانَ أَتَيْتَالِي إِلَى مَنْزِلِ آخَرَ مَعْنَاهُ تَأْجِيلُ التَّجَرِبَةِ . وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ آنَذَاكَ إِلَّا عَشْرُونَ جُنْيَهَا ، مُعْظَمُهَا مَوْدَعٌ فِي الْمَصْرِفِ . وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَدْعَى الشَّرْطَةَ لَقَامُوا بِتَفْتِيشِ غُرْفَتِي ، فَمَا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ ؟

« أَنْ أُخْتَفِيَ طَبْعًا ! وَ هَذَا مَا فَعَلْتُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

« فِي الْبِدَايَةِ أَحْسَسْتُ بِالْأَلَمِ وَالْمَرَضِ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنْتُ

أُبْكِي وَأَتَتَجَبُّ . وَكُنْتُ أَكَلَّمُ نَفْسِي بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَلِكِنِّي صَمَدْتُ وَلَمْ
 أَسْتَسْلِمَ . وَلَنْ أُنْسَى أَبَدًا مَشْهَدَ يَدَيَّ : لَقَدْ أَصْبَحْتَ بَيضَاوَيْنِ
 كَالْوَرَقِ ، وَبَعْدَيْدٍ ، وَفِي بَطْنٍ ، أَصْبَحْتَ شَبِيهَتَيْنِ بِالزُّجَاجِ . وَبَعْدَ
 ذَلِكَ تَلَاشَتَا وَآخَفَتَا . فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَتَانِي ضَعْفُ كَأَنِّي طِفْلٌ صَغِيرٌ ،
 وَكُنْتُ أُمشي عَلَى قَدَمَيْنِ لَا أَرَاهُمَا .

« وَنِمْتُ طَوَالَ فِتْرَةِ الصُّبْحِ ، وَ سَحَبْتُ الْمَلَأَةَ فَوْقَ عَيْنِي
 لِأَحْجُبَ عَنْهَا الضُّوءَ . وَ أَيْقَظَنِي صَوْتُ طَرَقَاتٍ عَلَى بَابِي ، وَكَانَتْ قُوَّتِي
 قَدْ عَادَتْ إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ أَزْهِفُ السَّمْعَ ، وَ سَمِعْتُ لَغَطًا
 يَتَرَدَّدُ . وَ إِنْ هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى تَكَرَّرَتْ الطَّرَقَاتُ عَلَى الْبَابِ ،
 وَتَعَالَتْ أَصْوَاتُ تُنَادِينِي ، وَلِكِنِّي أَكْسِبُ بَعْضَ الْوَقْتِ أَجْبُثَهَا . وَكَانَتْ
 نَافِذَتِي تُطَلُّ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، فَتَسَلَّلْتُ مِنْهَا ، وَ أَغْلَقْتُهَا وَوَقَفْتُ
 خَارِجَهَا أَرْقُبُ مَا يَجْرِي ، وَ دَخَلَ إِلَى الْحُجْرَةِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ
 صَاحِبُ الْمَنْزِلِ وَوَلَدَاهُ .

« وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخِيلَ الدُّهْشَةَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا وَجَدُوا
 الْحُجْرَةَ خَالِيَةً . وَ هُرِعَ أَحَدُ السَّائِبِينَ إِلَى النَّافِذَةِ مِنْ فُورِهِ ، وَ فَتَحَهَا
 وَأَطْلَّ مِنْهَا . وَ كَانَ وَجْهُهُ الْمُلْتَحِي قَرِيبًا مِنِّي يَكَادُ يَلَامِسُنِي ، وَ حَذَقَ

يَنْظُرُهُ مِنْ خِلَالِي ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْآخَرَانِ . ثُمَّ مَضَى الْأَبُ الْعَجُوزُ إِلَى
الْفِرَاشِ وَ بَحَثَ تَحْتَهُ .

« وَبَيْنَمَا كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ مَعًا ، تَسَلَّلْتُ رَاجِعًا إِلَى الْحُجْرَةِ ،
وَتَجَاوَزْتُهُمْ مَارًا بِجَانِبِهِمْ ، وَهَبَطْتُ السُّلَّم ، وَعَثَرْتُ فِي إِحْدَى
الْحُجَرَاتِ عَلَى غُلْبَةٍ ثِقَابٍ ، وَعِنْدَمَا هَبَطُوا إِلَى الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ
رَجَعْتُ إِلَى حُجْرَتِي ، وَاشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْأَوْرَاقِ وَالْقَشِّ وَالْفِرَاشِ
وَالْأَثَاثِ . »

« أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْبَيْتِ ١٩ »

« نَعَمْ ، أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْبَيْتِ ، فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْوَسِيلَةَ
الْوَحِيدَةَ لِإِخْفَاءِ آثَارِي . »

وَأَنْقَضَتْ سَاعَةٌ أُخْرَى وَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ مَاضٍ فِي سَرْدِ قِصَّتِهِ
وَكَيْفَ مُضْغٍ إِلَيْهِ . وَكَانَتْ الْقِصَّةُ تُحْكِي كَيْفَ حَصَلَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ
عَلَى بَعْضِ الثِّيَابِ ، وَكَيْفَ كَانَ يَحْصُلُ عَلَى الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ مَتَى
يَسْتَطِيعُ ، وَكَيْفَ كَانَ يُهَيِّئُ لِنَفْسِهِ الْمَأْوَى وَ الْفِرَاشَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ
حِينَ يَشَاءُ ، حَتَّى أَنْتَهَى أَخِيرًا إِلَى أُيُنِغ .

الفصل التاسع عشر الخطّة التي فُشِلَتْ

تَسَاءَلَ كَيْمَبُ وَهُوَ يُطْلُ مِنْ النَّافِذَةِ : « وَالْآنَ مَاذَا سَنَفْعَلُ ؟ » وَتَحَرَّكَ
مُقْتَرِبًا مِنْ ضَيْفِهِ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَا الرُّجَالِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يَرْتَقُونَ
الْتَّلَّ فِي خُطَى بَطِيئَةٍ كَمَا بَدَأَ لِكَيْمَبِ .

« مَاذَا كُنْتَ تَتَوَى أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَمَا جِئْتَ إِلَى مِينَاءِ بَرْدُوك ؟ هَلْ كَانَ
فِي ذَهْنِكَ خُطَّةٌ ؟ »

كُنْتُ أَتَوَى أَنْ أَغَادِرَ الْبِلَادَ ، وَلَكِنِّي عَدَلْتُ عَنْ خُطَّتِي عِنْدَمَا
رَأَيْتَكَ . وَكُنْتُ أَفَكِّرُ فِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى الْجَنُوبِ لِأَنَّ الطُّقْسَ حَارًّا ،
خَاصَّةً وَقَدْ أَصْبَحَ سِرِّي مَعْرُوفًا ، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ
مُتَلَفِعٍ يَسْتَرُ وَجْهَهُ . إِنَّ لَدَيْكُمْ هُنَا بَوَاخِرَ تَبَحُّرٍ إِلَى فَرَنْسَا ، وَكَانَتْ فِكْرَتِي
أَنْ أَرْكَبَ إِحْدَى هَذِهِ الْبَوَاخِرِ ، ثُمَّ أَسَافِرَ بِالْقِطَارِ إِلَى إِسْبَانِيَا أَوْ إِلَى
الْجَزَائِرِ ، وَلَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَسِيرًا . وَهُنَاكَ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَعِيشَ

وَأَنْ يَقُومَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ أَعْمَالٍ حَتَّى وَلَوْ كَانَ خَفِيًّا . وَقَدْ كُنْتُ أَتَّخِذُ مِنْ ذَلِكَ الْأَفَاقِ صُنْدُوقًا أَحْفَظُ فِيهِ بِنْفُودِي وَحِمَالًا لِلْوَاظِمِي ، حَتَّى أَقَرَّرَ كَيْفَ أَرْتُبُ إِزْسَالَ كُتُبِي وَلَوَاظِمِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ . «
هَذَا مَفْهُومٌ . »

« وَعِنْدِيذِ حَاوَلْ أَنْ يَسْرِقَنِي ! لَقَدْ أَخْفَى كُتُبِي يَا كِمْب ! لَقَدْ أَخْفَى كُتُبِي ! لَوْ أَنَّنِي اهْتَدَيْتُ إِلَى مَكَانِهِ فَسَوْفَ ... »

« أَوَّلَى بِكَ أَنْ تَسْتَرِدَّ كُتُبَكَ مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . »

« لَكِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ أَمْ تَعْرِفُ مَكَانَهُ ؟ »

« إِنَّهُ فِي مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ، سَجِينًا - بِنَاءً عَلَى رَغْبَتِي - فِي غُرْفَةٍ مَنِيعَةٍ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « الْفَأْرُ الْجَبَانُ »

« هَذَا طَبْعًا يُعْرِقِلُ خُطَطَكَ إِلَى حَدِّ مَا . »

« يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ ، فَإِنَّهَا كُتُبٌ ضَرُورِيَّةٌ . »

قَالَ كِمْبُ مُتَوَتِّرًا ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامٍ فِي الْخَارِجِ :

« بِكُلِّ تَأْكِيدٍ ، بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ . وَالْأَمْرُ عَلَى آيَةٍ »

حَالٍ لَّنْ يَكُونُ عَسِيرًا مَا دَامَ لَّنْ يَعْرِفُ أَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ لَّكَ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَهُوَ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ : « نَعْمًا . »

وَحَاوَلَ كَيْمَبُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ آخَرَ يَجْعَلُ بِهِ الْحَدِيثَ مُتَصِلًا ،
وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ مَضَى مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ يَقُولُ : « إِنْ دُخُولِي بَيْتَكَ
يَا كَيْمَبُ غَيْرَ جَمِيعِ خُطْطِي . إِنَّكَ رَجُلٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْهَمَ وَتُقَدِّرَ مَوْقِفِي .
إِنَّكَ عَالِمٌ ، وَ طَبْعًا لَّنْ تُخْبِرَ أَحَدًا بِوُجُودِي هُنَا ؟ » .

« لَّنْ أَخْبِرَ مَخْلُوقًا بِذَلِكَ . »

« إِذَا كَانَ لَا بُدَّ لِي أَنْ أَسْتَفِيدَ مِنْ كَوْنِي رَجُلًا خَفِيًّا ، فَيَجِبُ أَنْ أَبْدَأَ
بِالْقَتْلِ . »

رَدَّدَ كَيْمَبُ : « الْقَتْلُ ؟ إِنِّي مُضْغِرٌ إِلَى خُطَّتِكَ ، وَلَكِنِّي لَا أُوَافِقُكَ
عَلَيْهَا . لِمَاذَا الْقَتْلُ ؟ »

يَتَلَخَّصُ الْمَوْضُوعُ فِي أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ - كَمَا نَعْرِفُ - أَنَّ ثَمَّةَ رَجُلًا
خَفِيًّا . وَهَذَا الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَا كَيْمَبُ يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ عَمَلَهُ بِأَنْ يَحْكُمَ
بِالْإِرْهَابِ . نَعَمْ ، وَهَذَا مَا أَغْنِيهِ : الْحُكْمُ بِالْإِرْهَابِ . يَجِبُ أَنْ
يَسْتَوْلِيَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ عَلَى بَلَدَةٍ مِثْلِ بَلَدَتِكُمْ بِرُدُوكَ ، وَيُسَيِّعَ فِيهَا

الرَّغْبَ وَالْفَرَخَ . يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْدِرَ الْأَوَامِرَ ، وَ يُمَكِّنَهُ ذَلِكَ بِوَسَائِلِ
عَدِيدَةٍ . وَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَعْصِي أَوَامِرَهُ ، وَ كُلَّ مَنْ يُعَارِضُهُ . »

قَالَ كِمْبُ : « حَقًّا ! ؟ » وَلَمْ يَكُنْ يُصْغِي إِلَى حَدِيثِ غَرِيفِينَ ،
وَلَمَّا إِلَى صَرِيرِ بَابِ الْبَيْتِ الْأَمَامِيِّ وَهُوَ يُفْتَحُ وَ يُغْلَقُ .

وَسَمِعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ أَيْضًا هَذَا الصَّرِيرَ ، وَقَالَ : « أَنْصِتْ ! مَا
الَّذِي يَجْرِي فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ؟ »

أَجَابَ كِمْبُ « لَا شَيْءَ » ثُمَّ أَخَذَ فَجَاءَةً يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ عَالٍ
وَبِسُرْعَةٍ ، فَقَالَ : « إِنِّي لَا أُوَافِقُكَ يَا غَرِيفِينَ عَلَى هَذَا . إِنْهَمَنِي ؛ فَأَنَا
لَا أُوَافِقُ عَلَى هَذَا . لِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَبْقَى وَحِيدًا ؟ لِمَ لَا تُكَاثِفُ النَّاسَ
جَمِيعًا بِالْأَمْرِ ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ ؟ إِنَّكَ عِنْدِيذٍ سَتَجِدُ آلَافَ مِنْ
النَّاسِ يُسَاعِدُونَكَ وَيَسُدُّونَ أَرْزَاكَ . »

وَرَفَعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَدَهُ قَائِلًا : « ثَمَّةَ أَقْدَامُ تَصْعَدُ السُّلَّمِ . »

قَالَ كِمْبُ : « هَرَاءُ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « سَرَى . » وَ مَضَى إِلَى الْبَابِ وَ أَرْهَفَ

سَمْعَهُ .

عِنْدَيْهِ تَلَاَحَقَتِ الْأَحْدَاثُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ ، فَفَجْأَةً انْفَتَحَتْ
الْمَلَابِسُ وَجَلَسَتْ ، وَشَرَعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ ، وَمَضَى كِمَبٍ
إِلَى بَابِ الْحُجْرَةِ وَفَتَحَهُ .

وَمَا إِنْ فُتِحَ الْبَابُ حَتَّى سُمِعَ وَقَعَ خُطَوَاتٍ مُسْرِعَةٍ وَأَصْوَاتٍ تَتَرَدَّدُ فِي
الطَّائِقِ الْأَرْضِيِّ .

وَبِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ دَفَعَ كِمَبُ الرَّجُلِ الْخَفِيُّ إِلَى الْوَرَاءِ ، وَ قَفَزَ
جَانِبًا ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ بِعُنْفٍ . وَكَانَ الْمِفْتَاحُ مُعَدًّا فِيهِ مِنْ
الْخَارِجِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَجِدَ غَرِيفِينَ نَفْسُهُ فِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ
مَحْبُوسًا فِي الْغُرْفَةِ لَوْلَا أَنَّ أَمْرًا صَغِيرًا حَدَثَ : فَقَدْ وَقَعَ الْمِفْتَاحُ عَلَى
الْأَرْضِ مُخْذِلًا صَوْتًا عَالِيًا .

وَشَحَبَ وَجْهُ كِمَبٍ ، وَ حَاوَلَ أَنْ يَشُدَّ مِقْبَضَ الْبَابِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ ،
وَمَرَّتْ لَحْظَةٌ وَ هُوَ يَجْذِبُ الْمِقْبَضَ بِشِدَّةٍ ثُمَّ انْفَتَحَ الْبَابُ بِمِقْدَارِ
خَمْسَةِ عَشَرَ سَنْتِمِترًا ، وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغْلِقَهُ ثَانِيَةً ، وَفِي الْمَرَّةِ
الثَّانِيَةِ فُتِحَ الْبَابُ قُرَابَةَ ثَلَاثِينَ سَنْتِمِترًا ، وَظَهَرَتِ الْمَلَابِسُ فِي فُرْجَةِ
الْبَابِ . وَأَمْسَكَتْ أَصَابِعُ خَفِيَّةٍ بِعُنُقِ كِمَبٍ تَحْنُقُهُ ، فَتَرَكَ الْمِقْبَضَ
لِيُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ . وَدَفِعَ إِلَى الْوَرَاءِ ، وَ أُلْقِيَ بِعُنْفٍ عَلَى الْأَرْضِ .

و فِي مُتَّصِفِ السُّلَمِ كَانَ الْعَقِيدُ آدِي - رَئِيسُ شُرْطَةِ بِرْدُوكِ -
صَاعِدًا . وَأَخَذَ يُحْمِلُهُ إِلَى كِنْبِ الَّذِي ظَهَرَ فَجْأَةً ، وَوَرَاءَهُ الْمَلَأِسُ
الَّتِي كَانَتْ تَتَرَاقَصُ فِي السَّهْوَاءِ . ثُمَّ رَأَى كِنْبَ يَتَهَاوَى عَلَى الْأَرْضِ ،



وَيُجَاهِدُ لِلنُّهْوضِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَشَاهِدُهُ يَنْدَفِعُ إِلَى الْأَمَامِ ثُمَّ يَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرَى .

وَفَجْأَةً أَحَسَّ بِضَرْبَةٍ مِنْ لَا شَيْءٍ ! وَبَدَا لَهُ أَنَّ جِسْمًا ثَقِيلًا أَنْقَضَ عَلَيْهِ ، وَأَلْفَى نَفْسَهُ يَسْقُطُ عَلَى السُّلَمِ . وَوَطِئَتْ ظَهْرَهُ قَدَمٌ خَفِيَّةٌ ، وَسَمِعَ عَلَى السُّلَمِ وَقَعَ أَقْدَامٍ لِشَحٍّ لَا يُرَى ، ثُمَّ سَمِعَ الشَّرْطِيِّينَ الَّذِينَ فِي الْبَهْوِ يَضْرُخَانِ وَيَجْرِيَانِ ، وَاعْقَبَ ذَلِكَ صَوْتُ أَلْبَابِ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ .

وَأَعْتَدَلَ رَئِيسُ الشَّرْطَةِ جَالِسًا عَلَى السُّلَمِ ، وَرَأَى كِمْبَ نَازِلًا ، وَوَجْهَهُ شَاجِبٌ يَتَرَفُّ دَمًا .

وَصَاحَ كِمْبُ : «دَبَّاهُ ! لَمْ أُسْتَطِيعْ أَنْ أَمْنَعَهُ ! لَقَدْ هَرَبَ !»

الفصل العشرون

مطاردة الرجل الخفي

استغرق كئيب بعض الوقت لكي يشرح للعقيد آدي ما حدث ، فقال : « إنه مجنون ! إنه لا يفكر إلا في مصلحته الشخصية وفي سلامته . وقد استمعتُ هذا الصباح إلى قصة شنيعة مليئة بالطموح الشديد القسوة ، لقد اعتدى على بعض الرجال فأصابهم بجروح ، وهو يعتزم أن يقتلهم ما لم تمنعه . إنه يخطط لكي يسيطر على البلدة بالإرهاب . لا شيء يمكن أن يوقفه . إنه الآن حرٌ طليق في الخارج ، وهو مجنون ! »

قال آدي : « يجب أن نقبض عليه ، وهذا أمر لا شك فيه . »
صاح كئيب : « ولكن كيف ؟ » وفجأة ازدحمت برأيه الأفكار ، فقال :

« يجب أن تبدأوا فوراً في مطاردته ... يجب أن تدعوا جميع

النَّاسِ إِلَى الْعَمَلِ . يَجِبُ أَنْ تَمْنَعُوهُ مِنْ مُغَادَرَةِ هَذَا الْمَكَانِ . إِنَّهُ إِذَا
تَمَكَّنَ مِنَ الْهَرَبِ فَسَوْفَ يَرْتَادُ الْبِلَادَ ، وَيَقْتُلُ أَنَّى سَارَ . وَالشَّيْءُ الْوَحِيدُ
الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ هُوَ رَغْبَتُهُ فِي اسْتِرْدَادِ كُتُبِ مُعِينَةٍ
لَهَا عِنْدَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ ، وَسَأَحْدِثُكَ عَنْهَا . إِنَّ لَدَيْكُمْ فِي مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ رَجُلًا
يُدْعَى مَارِفل . »

قَالَ آدِي : « أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَعْرِفُ ذَلِكَ . هَذِهِ الْكُتُبُ ... نَعَمْ ،
وَلَكِنْ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ... »

قَالَ كَيْمَبُ مُقَاطِعًا : « يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَسْتَرِدْ كُتُبَهُ بَعْدُ ، وَلَكِنَّهُ يَظُنُّ
أَنَّهَا لَدَى مَارِفل . وَالْآنَ أَضِغْ إِلَيَّ : يَجِبُ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ
يَنَامَ . يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَةُ مُتَقَيِّظَةً لَهُ لَيْلَ نَهَارَ . يَجِبُ أَنْ تَوْضَعَ كَافَّةُ
الْأَطْعِمَةِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ حَتَّى يُضْطَرَّ إِلَى أَنْ يَفْتَحِيَهُ بَيْتًا أَوْ مَتَجَرًّا
لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا . وَالْبُيُوتُ ... جَمِيعُ الْبُيُوتِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَجِبُ أَنْ
تَوْصَدَ دُونَهُ . وَالْمِنْطَقَةُ كُلُّهَا فِي نِطَاقِ ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا حَوْلَ مِينَاءِ بَرْدُوكِ
يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ فِي مُطَارَدَتِهِ ، وَيَجِبُ أَلَّا تَكْفُفَ عَنْ مُطَارَدَتِهِ . وَأَوْكُذْ لَكَ
يَا آدِي أَنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ ، وَمَا لَمْ نُنْسِكْ بِهِ فَإِنَّ التَّفَكِيرَ فِيهَا سَيَحْدِثُ
يُثِيرُ الدُّعْرَ فِي النَّفْسِ . »

قال العَقِيدُ آدي : « وَالْآنَ هَيَّا بِنَا ، وَيُمْكِنُكَ أَثْنَاءَ سَيْرِنَا أَنْ نُحَدِّثَنِي
عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَهُ . »

وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ كَانَا يَهْبِطَانِ السُّلَّمِ وَوَجَدَا أَلْبَابَ الْأَمَامِيِّ مُفْتُوحًا ،
وَالشَّرْطِيَّ الْوَاقِفَ عِنْدَهُ يُحْمِلُ إِلَى السَّهْوِ ، وَقَالَ أَحَدُ الْوَاقِفِينَ :
« لَقَدْ هَرَبَ يَا سَيِّدِي . »

قال العَقِيدُ آدي : « يَجِبُ أَنْ نُخْطِرَ مَرْكَزَ الشَّرْطَةِ حَالًا بِهَا
حَدَثٌ ، فَعَلَى أَحَدِكُمَا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَرْكَزِ لِلْإِبْلَاجِ ثُمَّ يَلْحَقَ بِنَا
بِسُرْعَةٍ . وَالْآنَ يَا كِمْب ، مَاذَا لَدَيْكَ سِوَى مَا ذَكَرْتَ ؟ »
قال كِمْب : « الْكِلاَبُ . يَجِبُ إِخْضَارُ الْكِلاَبِ . إِنَّهَا لَنْ تَرَاهُ
طَبْعًا ، وَلَكِنَّهَا سَتَشُمُّ رَائِحَتَهُ . أَخْضِرِ الْكِلاَبَ . »

أجاب العَقِيدُ آدي : « لَيْسَ لَدَيْنَا فِي الْمَرْكَزِ كِلَابٌ صَالِحَةٌ لِهَذَا
الْغَرَضِ ، وَلَكِنْ ضَبَّاطٌ سَجَنِي هَلَسْتِيد يَعْرِفُونَ رَجُلًا لَدَيْهِ كِلَابٌ مُدْرَبَةٌ
عَلَى اقْتِنَاءِ الْأَثَارِ . وَمَاذَا لَدَيْكَ أَيْضًا بَعْدَ الْكِلاَبِ ؟ »

قال كِمْب : « تَذَكَّرُ أَنَّ الطَّعَامَ يَظْهَرُ أَمَامَ الْعَيْنِ ، فَبَعْدَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ
الْأَكْلِ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى الطَّعَامَ فِي مِعْدَتِهِ جَلِيًّا ؛ وَلِذَلِكَ يَغْمِدُ إِلَى
الْاخْتِيَاءِ ؛ وَلِذَا يَجِبُ أَنْ تُكْثِفُوا الْبَحْثَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ . »

وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تُخْفُوا جَمِيعَ الْأَسْلِحَةِ ، وَأَيَّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ
سِلَاحًا . وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْسِكَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ طَوِيلًا ، لِأَنَّهَا تَكْشِفُ
مَكَانَهُ . وَيَجِبُ أَنْ تُخْفُوا أَيَّ شَيْءٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْتَقِطَهُ لِيَضْرِبَ بِهِ
النَّاسَ .

قَالَ الْعَقِيدُ : « حَسَنًا ... سَوْفَ نَقْتَنِصُهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

قَالَ كِمْب : « وَالطَّرِيقُ ... » وَبَدَأَ عَلَيْهِ التَّرَدُّدُ .

وَسَأَلَهُ آدِي : « مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟ »

أَجَابَ كِمْب : « يَجِبُ أَنْ نَفْرِشَهَا بِزُجَاجٍ مَكْسُورٍ ... إِنِّي أَعْرِفُ
أَنْ فِي فِكْرَتِي قَسْوَةً ، وَلَكِنْ نَحْيِلُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ . »

وَتَنَفَّسَ آدِي بِعُمَقٍ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ ، وَقَالَ : « إِنَّهَا حَقًّا قَسْوَةٌ أَفْضَلُ
عَدَمِ اسْتِعْمَالِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ سَاعِدٌ قَدْرًا مِنَ الزُّجَاجِ الْمَكْسُورِ ؛ فَإِذَا
قُتِلَ فَسَيَكُونُ قَدْ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّ . »

قَالَ كِمْب : « أُوَكِّدُ لَكَ أَنَّ الرَّجُلَ مَجْنُونٌ ، وَسَوْفَ يُقَدِّمُ عَلَى
عَمَلٍ أَيِّ شَيْءٍ وَيَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ مُمَكِّنَةٍ ، فَقَدْ قَطَعَ نَفْسَهُ
عَنِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ . »

الفصل الحادي والعشرون مَقْتَلُ السَّيِّدِ وَكُسْتِيدِ

يَتَدَوُّ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ انْطَلَقَ مِنْ بَيْتِ كِمْبٍ وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِهِ
غَضَبٌ جَامِحٌ ، فَقَدْ لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ طِفْلاً يَلْعَبُ بِجَانِبِ بَابِ حَدِيقَةِ بَيْتِ
كِمْبٍ فَأَمْسَكَهُ وَقَذَفَ بِهِ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ بِعُنْفٍ ، فَأَنْكَسَرَتْ سَاقُهُ .
وَتَلَاسَّتْ آثَارُ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ بِضَعِّ سَاعَاتٍ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ
أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ ، وَمَا الَّذِي فَعَلَ . وَلَكِنْ بِالإِمْكَانِ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ مُنْطَلِقاً
يَعْدُو ، فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْفَاقِظِ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ يُونِيهِ ، مُتَسَلِّقاً التَّلَّ ، ثُمَّ
مُتَّجِهاً إِلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ مِينَاءِ بِرْدُوكَ ، ثُمَّ يَخْتَفِي فِي
الْهَيْأَةِ فِي الْغَابَةِ .

هُنَاكَ اخْتَفَى سَاعَتَيْنِ ، عَلَى حِينِ كَانَ حَشْدٌ مُتَزَايِدٌ مِنَ الرِّجَالِ
يُطَارِدُهُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْكِلَابِ عَبْرَ الْمِنْطَقَةِ ، وَيُفْتَشُّ عَنْهُ فِي كُلِّ أَمَّاجٍ .
وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ لَا يَزَالُ رِوَايَةً تُرَدِّدُهَا الْأَلْسُنُ ، وَرُعْباً

يَسْتَبِدُّ بِالْقُلُوبِ . أَمَّا بَعْدَ الظُّهْرِ - وَ الْفَضْلُ فِي هَذَا لِإِعْلَانِ الشَّدِيدِ
الْهَجَةِ الَّذِي أَذَاعَهُ كِمْب - فَقَدْ أَيقَنَ النَّاسُ أَنَّهُ عَدُوٌّ حَقِيقِيٌّ يَجِبُ
اِفْتِنَاصُهُ وَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ . وَأَخَذَ النَّاسُ يُنْظِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

وَ حَتَّى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، كَانَ بِمَقْدُورِهِ اِهْرَبُ مِنْ
الْمِنْطَقَةِ بِأَن يَرْكَبَ قِطَارًا . أَمَّا بَعْدَ الثَّانِيَةِ فَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُسْتَحِيلًا ؛
فَجَمِيعُ قِطَارَاتِ الرُّكَّابِ فِي الْمِنْطَقَةِ كَانَتْ مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ بِالْأَقْفَالِ ،
أَمَّا قِطَارَاتُ الْبِضَاعَةِ فَقَدْ تَوَقَّفَتْ كُلُّهَا تَقْرِيبًا عَنِ السَّيْرِ .

وَ فِي دَائِرَةِ نِطَاقِهَا حَوْلَى ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا حَوْلَ مِينَاءِ بِرْدُوك ، كَانَ
الرَّجَالُ الْمُسَلَّحُونَ بِالْبِنَادِقِ وَ الْعِصِيِّ يَنْطَلِقُونَ فِي جَمَاعَاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ
ثَلَاثَةِ رِجَالٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ تَصْحَبُهُمُ الْكِلَابُ ، يُفْتَشُونَ الطُّرُقَ وَ الْحُقُولَ .

أَمَّا رِجَالُ الشُّرْطَةِ مِنْ رَاكِبِي الْخَيْلِ فَمَضَوْا يَطُوفُونَ بِطُرُقِ
الْمِنْطَقَةِ ، وَيَتَوَقَّفُونَ عِنْدَ كُلِّ بَيْتٍ ، وَ يَطْلُبُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُغْلِقُوا
أَبْوَابَهُمْ ، وَ أَلَّا يُغَادِرُوا دُورَهُمْ إِلَّا وَهُمْ مُسَلَّحُونَ . وَ قَبْلَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ
كَانَتْ جَمِيعُ الْمَدَارِسِ قَدْ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا وَ أَسْرَعَ تَلَامِيذُهَا الْخَائِفُونَ إِلَى
مَنَازِلِهِمْ فِي جَمَاعَاتٍ مُتَمَاسِكَةٍ . وَ قَدْ عُلِقَ إِعْلَانُ كِمْب فِي كُلِّ مَكَانٍ
لِيُوضَحَ لِلنَّاسِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوهُ بِأَن يَخْرِمُوا الرَّجُلَ الْخَفِيَّ



مِنَ الْأَكْلِ وَ النَّوْمِ وَأَنْ يَتَّبِعُهَا دَائِمًا لِأَيَّةِ عَلَامَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقَبْلَ أَنْ
يَسُودَ الظُّلَامُ كَانَتْ الْبِلَادُ كُلُّهَا عَلَى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ . وَقَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ
جَاءَتْ أَنْبَاءُ تَنَاقُلَتِهَا الْأَلْسِنَةُ تَرْوِي حِكَايَةَ مَقْتَلِ السَّيِّدِ وَكُسْتِيدِ .

فَفِي مَكَانٍ مَا عَلَى الطَّرِيقِ لَا بُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ الْقَطْعَ قَضِيًّا
مِنَ الْحَدِيدِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ السَّيِّدُ وَكُسْتِيدُ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ مِنْ
عَمَلِهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مُسَالِمٌ لَا يُؤْذِي أَحَدًا . وَمَا مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّهُ رَأَى
قَضِيًّا مِنَ الْحَدِيدِ يَمْشِي وَحْدَهُ مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ ، فَأَخَذَ يَتَّبَعُهُ . وَيَبْدُو
أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ ظَنَّ أَنَّ وَكُسْتِيدَ الْهَادِيَّ الضَّئِيلَ الْجِسْمِ هُوَ أَحَدُ

مُطَارِدِيهِ ، فَأَوْقَفَهُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، وَكَسَرَ ذِرَاعَهُ ، وَطَرَحَهُ أَرْضًا ،
وَهَشَّمَ رَأْسَهُ .

وَتِمَّةَ حِكَايَةِ أُخْرَى عَنْ صَوْتِ يَضْحَكُ وَ يَبْكِي ، سَمِعَهُ بَعْضُ
الرُّجَالِ فِي أَحَدِ الْحُقُولِ . وَأَخَذَ الصَّوْتُ يَتَرَدَّدُ فِي أَرْجَاءِ الْحَقْلِ ، ثُمَّ
تَلَاثَى . وَلَا بُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ عَرَفَ كَيْفَ اسْتَفَادَ كَيْسُ مِنَ الْقِصَّةِ
الَّتِي رَوَاهَا لَهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ رَأَى جَمِيعَ أَبْوَابِ الْيُبُوتِ مُغْلَقَةً ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ
رَأَى جَمَاعَاتِ الرُّجَالِ تَصْحَبُهُمُ الْكِلَابُ يُرَاقِبُونَ وَيَتَرَبَّصُونَ ، فَأَذْرَكَ أَنَّهُ
رَجُلٌ مُطَارَدٌ . وَلَا بُدَّ أَنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَنَامَ فِي اللَّيْلِ ، فَفِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَدْ اسْتَعَادَ قُوَّتَهُ وَرِبَاطَتَهُ
جَاشِهِ ، وَاسْتَعَدَّ لِمُوَاجَهَةِ الْعَالَمِ .

الفصل الثاني والعشرون

مهاجمة منزل كيمب

كَانَ كِمْب يَقْرَأُ رِسَالَةً مَكْتُوبَةً بِقَلَمِ الرُّصَاصِ عَلَى رُقْعَةٍ قَدِرَةٍ مِنَ
الْوَرَقِ ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا : « لَقَدْ كُنْتَ مَاهِرًا لِلْغَايَةِ ، وَلَكِنْ مَا الَّذِي جَنَّبَتْهُ
بِسْمَهِارَتِكَ ؟ لَا أَدْرِي ! إِنَّكَ ضَيْدِي ! وَقَدْ أَمْضَيْتَ يَوْمًا بِأَكْمَلِهِ تُطَارِدُنِي ،
وَحَاوَلْتَ أَنْ تَسْلُبَنِي رَاحَتِي لَيْلَةً ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكُلَ رَغْمًا عَنْكَ ،
وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَنَامَ رَغْمًا عَنْكَ . إِنَّا آلَاَنَ فِي الْبِدَايَةِ . نَعَمْ ، نَحْنُ فِي
الْبِدَايَةِ . وَلَا شَيْءٍ يُمَكِّنُ عَمَلَهُ إِلَّا الْإِرْهَابَ . وَهَذَا هُوَ أَوَّلُ أَيَّامِ
الْإِرْهَابِ . لَمْ يَعْذِ مِينَاءُ بِرُدُوكَ خَاضِعًا لِلدُّوَلَةِ ، فَبَلَغَ هَذَا لِرِجَالِ
شُرْطَتِكَ ، بَلْ لِجَمِيعِ الشُّرْطَةِ ، أَنَّهُ خَاضِعٌ لِي - لِلْإِرْهَابِ ! أَنَا الرَّجُلُ
الْخَفِيُّ الْأَوَّلُ ! وَسَوْفَ نَبْدَأُ بِقَتْلِ رَجُلٍ يُدْعَى كِمْب . إِنَّهُ سَيَمُوتُ
الْيَوْمَ . وَلَعَلَّهُ سَيَخْبِئُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَقَدْ يُحِيطُ نَفْسُهُ بِالْحُرَاسِ ،
وَلَكِنْ السَّمُوتُ ... السَّمُوتُ الَّذِي لَا يُرَى - آتٍ ! لَقَدْ بَدَأَتْ

اللُّعْبَةُ . . . لَقَدْ بَدَأَ الْمَوْتُ . لَوْ أَنَّكُمْ سَاعَدْتُمُوهُ يَا أَفْرَادَ شُعْبِي ، فَسَوْفَ
يَحِيقُ بِكُمْ الْمَوْتُ أَيْضًا . الْيَوْمَ سَيَمُوتُ كِمْب . »

قَرَأَ كِمْبَ الرِّسَالَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَقَالَ : « هَذَا هُوَ صَوْتُهُ ! وَهُوَ يَعْنِي مَا
يَقُولُ . »

وَنَهَضَ مُتَاقِلًا دُونَ أَنْ يُتِمَّ غَدَاءَهُ ، فَقَدْ وَصَلَتْهُ الرِّسَالَةُ فِي بَرِيدِ
السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ . وَذَهَبَ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَذَقَّ الْجَرَسَ لِيَسْتَدْعِيَ
خَادِمَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي الْحَالِ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ النُّوَافِذَ
كُلَّهَا مُغْلَقَةً . وَقَامَ يَغْلِقُ نَافِذَةَ مَكْتَبِهِ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ مُسَدَّسًا صَغِيرًا مِنْ
دُرْجٍ مُغْلَقٍ فِي مَكْتَبِهِ ، وَفَحَصَهُ بِعِنَايَةٍ ، وَوَضَعَهُ فِي جَيْبِهِ . وَكَتَبَ
مُذَكِّرَاتٍ قَصِيرَةً ، وَكَانَتْ إِحْدَاهَا لِلْعَقِيدِ آدِي ، وَسَلَّمَهَا كُلَّهَا
لِخَادِمَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا : « لَيْسَ ثَمَّةَ خَطَرٍ يَتَهَدَّدُكَ . » وَاسْتَعْرِقَ فِي
التَّفَكُّيرِ قَلِيلًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى تَنَاوُلِ غَدَائِهِ .

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ خَبَطَ الْمَائِدَةَ بِقَبْضَتِهِ وَقَالَ : « سَنَظْفُرُ بِهِ ، لِأَنَّهُ
سَيَتِمَادَى فِي أَفْعَالِهِ ! »

وَصَعِدَ إِلَى مِخْدَعِهِ ، وَفِي طَرِيقِهِ أَخَذَ يُغْلِقُ كُلَّ بَابٍ وَرَاءَهُ ، وَقَالَ
لِنَفْسِهِ : « إِنَّهَا لُعْبَةٌ ! لُعْبَةٌ غَرِيبَةٌ - وَلَكِنِّي سَافِرٌ يَا سَيِّدُ غَرِيفِينَ ! »

وَوَقَفَ بِجَوَارِ النَّافِذَةِ يَتَطَلَّعُ إِلَى سَفْحِ التَّلِّ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « لَا بُدَّ أَنْ
يَحْصُلَ عَلَى الطَّعَامِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَلَكِنْ أَتُرَاهُ حَقًّا نَامَ اللَّيْلَةَ الْأَمَاضِيَّةَ ؟ هَلْ
نَامَ فِي الْغَرَاءِ ؟ لَيْتَ الْجَوْ يَنْقَلِبُ بَارِدًا رَطْبًا بَدَلًا مِنْ هَذَا الْحَرِّ ! لَعَلَّهُ
الآنَ يُرَاقِبُنِي ! »

وَدَنَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَأَحْسُ بِشَيْءٍ يَرْتَطِمُ بِالْجِدَارِ فَوْقَهَا ، فَقَالَ : « لَقَدْ
بَدَأَتْ أَغْصَابِي تَتَوَثَّرُ . » وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ النَّافِذَةِ ثَانِيَةً إِلَّا بَعْدَ خَمْسِ
دَقَائِقَ ، وَقَالَ : « لَا بُدَّ أَنْ طَائِرًا أَصْطَلَمَ بِالْجِدَارِ . »

وَسَمِعَ رَنِينَ جَرَسِ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ ؛ فَأَسْرَعَ يَهْبِطُ الدَّرَجَ ، وَأَزَاخَ
سِلْسِلَةَ الْبَابِ ، ثُمَّ فَتَحَهُ ، دُونَ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ . وَكَانَ الْقَادِمُ آدِي ،
وَقَالَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ : « لَقَدْ هَوِجْتُمْ خَادِمَتُكَ يَا كِمْبُ . »

فَصَاحَ كِمْبُ مُنْذِهْشًا : « مَا الَّذِي تَقُولُهُ ؟ ! »

« لَقَدْ أَتَسَوَّلُ عَلَى مُذَكَّرَتِكَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهَا . . . إِنَّهُ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ فَدَعْنِي أَدْخُلُ . »

وَفَتَحَ كِمْبُ الْبَابَ قَلِيلًا ، فَدَخَلَ آدِي ، وَوَقَفَ فِي الْبَهْوِ يُتَابِعُ كِمْبَ
بِبَصَرِهِ وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ .

وَأَخَذَ كِمْبُ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا لِي مِنْ أَحْصَقَ ! كَانَ يَجِبُ

أَنْ أَتَوَقَّعَ هَذَا ؟ »

تَسَاءَلَ آدِي : « مَاذَا تَعْنِي ؟ »

أَجَابَ كِمْبَ وَهُوَ يَتَجَهَّ بِزَائِرِهِ إِلَى عُرْفَةِ الْمَكْتَبِ : « أَنْظُرْ ! » وَنَاولَ آدِي الرِّسَالَةَ الَّتِي جَاءَتْهُ مِنَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ .

قَرَأَ آدِي الرِّسَالَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَنْتَ ... ؟ »

وَتَنَاهَى إِلَى أَسْمَاعِيهَا صَوْتُ نَافِذَةٍ تَتَهَشَّمُ فِي الطَّابَقِ الْأَعْلَى ، وَرَأَى آدِي طَرَفَ الْمُسَدَّسِ الصَّغِيرِ يَبْرُزُ مِنْ جَنْبِ كِمْبَ .

قَالَ كِمْبَ : « إِنَّهَا نَافِذَةٌ فِي الطَّابَقِ الْأَعْلَى . » وَأَسْرَعَ يَغْدُو صَاعِدًا وَآدِي وَرَاءَهُ . وَسَمِعَا وَهُمَا لَا يَزَالَانِ عَلَى الدَّرَجِ صَوْتَ نَافِذَةٍ أُخْرَى تَتَهَشَّمُ ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ وَجَدَا مِنَ النَّوَافِذِ الثَّلَاثِ نَافِذَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ ، وَ الزُّجَاجُ الْمُهَشَّمُ يَغْطِي الْأَرْضَ ، كَمَا رَأَى حَجَرًا كَبِيرًا مُسْتَقَرًّا فَوْقَ الْمَكْتَبِ . وَوَقَفَ الرَّجُلَانِ فِي مَذْخَلِ الْحُجْرَةِ ، وَأَخَذَ كِمْبَ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَفِيمَا هُوَ يُرَدِّدُ السَّبَابَ وَاللَّعْنَاتِ أَنْكَسَرَتِ النَّافِذَةُ الثَّلَاثَةُ بِقَرْعَةٍ شَبِيهَةٍ بِدَوِيِّ طَلْقِ نَارِيٍّ ، وَتَنَازَرَتْ شَطَايَا الزُّجَاجِ الْمَكْسُورِ فِي أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ .

وَتَسَاءَلَ آدِي : « مَا الَّذِي يَبْغِيهِ مِنْ هَذَا ؟ »

أَجَابَ كِمْب : « إِنَّمَا الْبِدَايَةُ . »

« أَلَمْ تَهَـؤُلَ وَسِيلَةً يَتَسَلَّقُ بِهَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟ »

قَالَ كِمْب : « حَتَّى الْفِطْرَةُ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . »

وَأَنهَلَتْ الْأَحْجَارُ الْمُتَطَايِرَةَ إِلَى دَاخِلِ الْحُجْرَةِ ، وَعِنْدَيْهِ بَدَأَ
وَكُنَّ شَخْصًا يَدُقُّ عَلَى الْمَصَارِيعِ الْخَشَبِيَّةِ لِنَوَافِذِ الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ .
وَوَقَفَ الرَّجُلَانِ خَارِجَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ لَا يَدْرِيَانِ مَاذَا يَفْعَلَانِ .

قَالَ آدِي : « إِنِّي أَعْرِفُ مَا يَنْبَغِي عَمَلُهُ ! أَعْطِنِي عَصَا أَوْ شَيْئًا آخَرَ
عَلَى شَاكِلَتَيْهَا ، وَسَأَذْهَبُ إِلَى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ، وَأَعُودُ بِالرَّجُلِ صَاحِبِ
الْكِلَابِ الْمُدْرِيَّةِ عَلَى أَقْتِفَاءِ الْأَثَارِ ، وَسَوْفَ تَعْتَرُّ عَلَيْهِ . »
وَتَحَطَّطَتْ نَافِذَةُ أُخْرَى .

وَسَأَلَ آدِي : « أَلَيْسَ لَدَيْكَ مُسَدَّسٌ ؟ »

وَأَمْتَدَّتْ يَدُ كِمْبِ إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ رَدَّهَا مُتَرَدِّدًا وَقَالَ : « نَعَمْ ، لَيْسَ
لَدَيَّ مُسَدَّسٌ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ أَسْتَغْنِي عَنْهُ . »
قَالَ آدِي : « سَاعِيْدُهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ هُنَا فِي أَمَانٍ . »
وَنَازَلَهُ كِمْبُ السَّلَاحَ .

قَالَ آدِي : « الْآنَ هَيَّا بِنَا إِلَى الْبَابِ . »

وَيَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلَانِ وَاقِفَيْنِ فِي الرَّدْمَةِ يَتَتَرَانِ سَمِيعَا فَرْقَعَةً إِحْدَى
نَوَافِدِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، فَمَضَى كَيْمَبُ إِلَى الْبَابِ ، وَشَرَعَ يُدِيرُ الْمِفْتَاحَ فِي
الثَّقْبِ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْهُدُوءِ ، وَبَدَأَ وَجْهَهُ أَكْثَرَ شُحُوبًا مِنْ
الْمُعْتَادِ .

قَالَ : « يَجِبُ أَنْ تَتَقَدَّمَ بِلا تَرُدُّدٍ . »

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كَانَ آدِي عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَالْبَابُ مُغْلَقٌ وَرَاءَهُ . وَلَبِثَ
مَكَانَهُ بُرْهَةً وَهُوَ أَكْثَرُ أَطْمِئْنَانًا وَظَهْرُهُ مُسْتَبَدٌّ إِلَى الْبَابِ ، ثُمَّ هَبَطَ
الدَّرَجَ ، وَاجْتَنَزَأَ الْحَدِيقَةَ ، وَحِينَ أَوْشَكَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْبَوَابَةِ
الْخَارِجِيَّةِ أَحْسَسَ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ بِالقُرْبِ مِنْهُ .

وَنَادَاهُ صَوْتُ قَائِلًا : « قِفْ لَحْظَةً ! » وَتَوَقَّفَ آدِي عَنِ السَّيْرِ وَيَدُهُ
عَلَى الْمُسَدِّسِ .

قَالَ آدِي : « مَا الَّذِي تُرِيدُهُ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « عُدْ مِنْ فَضْلِكَ إِلَى الْبَيْتِ . »

قَالَ آدِي : « لَا . » وَفَكَّرَ فِي أَنْ يُطْلِقَ رِصَاصَةً فِي أُنْجَاءِ الصَّوْتِ .

وَسَأَلَهُ الصُّوتُ : « مَا الَّذِي تَتَوَي أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ »

أَجَابَ آدِي : « مَا أَفْعَلُهُ مِنْ شَأْنِي وَخُدي . »

وَلَمْ يَكْذُ يُتَمِّمْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حَتَّى طَوَّقَتْ عُنُقَهُ ذِرَاعٌ ، وَشَعَرَ بِرُكْبَةٍ
تَسْتَقِرُّ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَجَذِبَ رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ فَأَطْلَقَ النَّارَ بِأَهْتِيجٍ . وَفِي
الْلَّحْظَةِ التَّالِيَةِ نَلَقَى لَظْمَةً عَلَى فَكِّهِ ، وَانْتَزَعَ الْمُسَدَّسُ مِنْ يَدِهِ ،
فَحَاوَلَ أَنْ يُقَاوِمَ وَ لَكِنَّهُ طَرِحَ أَرْضًا عَلَى ظَهْرِهِ ، وَصَاحَ غَاضِبًا :
« عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ . »

وَصَحَّحَكَ الصُّوتُ ، وَقَالَ : « يُمَكِّنُنِي الْآنَ أَنْ أَقْتُلَكَ ، وَلَكِنْ فِي
ذَلِكَ إِضَاعَةٌ لِرِصَاصَةٍ . »

وَرَأَى آدِي الْمُسَدَّسَ مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ ، عَلَى قَبِدٍ مَبْتَرِينَ مِنْهُ ،
وَمُسَدَّدًا إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَقُومُ مِنْ رَقَدَتِهِ : « مَاذَا تُرِيدُ ؟ »

قَالَ الصُّوتُ : « إِنْهَضْ . »

وَأَنْتَصَبَ آدِي وَاقِفًا .

قَالَ الصُّوتُ : « قِفْ سَاكِئًا . » ثُمَّ أَرْدَفَ بِحَزْمٍ : « إِيَّاكَ وَالْإِفْدَامَ
عَلَى أَيْةِ خُدْعَةٍ . وَتَذَكَّرْ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى وَجْهَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ

لَا تَرَانِي . وَعَلَيْكَ الْآنَ أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الْبَيْتِ . »

أَجَابَ آدِي : « إِنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لِي بِالدُّخُولِ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « هَذَا شَيْءٌ مُؤْسِفٌ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ الرَّجُلَ
الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَهُ . »

وَحَوْلَ آدِي بَصَرُهُ عَنِ الْمُسَدَّسِ الْمَصُوبِ إِلَيْهِ ، وَرَأَى الْبَحْرَ مِنْ
بَعِيدٍ دَاكِئًا شَدِيدَ الزُّرْقَةِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ ، وَصُخُورَ الشَّاطِئِ
الْبَيْضَاءِ ، كَمَا رَأَى التَّلَّ تَغْلُوهُ الْأَغْشَابُ الْخَضِرَاءُ . وَفَجْأَةً أَدْرَكَ أَنَّ
الْحَيَاةَ حُلُوهَ ، فَعَادَ بِبَصَرِهِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمَعْدِينِي الصَّغِيرِ الْمُعْلَقِ
بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، عَلَى قَيْدٍ مِثْرَيْنِ مِنْهُ ، وَقَالَ : « مَا الَّذِي يَنْبَغِي
عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « بَلْ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَهُ أَنَا ؟ لَوْ أَنِّي
أُطْلَقْتُ سَرَاحَكَ ، لَعُدْتُ بِنَجْدَةٍ ، لِذَلِكَ لَيْسَ أَمَامَكَ إِلَّا أَنْ تَرْجَعَ إِلَى
الْبَيْتِ . »

« سَاحَاوُلُ ، وَلَكِنْ إِذَا سَمَحَ لِي بِالدُّخُولِ فَهَلْ تَعِدُنِي بِأَلَّا تَقْتَحِمَ
الْبَابَ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ أَنْتَ . »



وَكَانَ كَيْمَبٌ قَدْ أُسْرِعَ إِلَى الطَّابِقِ الْعُلْيَا ، بَعْدَ أَنْ غَادَرَ آدِي
الْبَيْتَ ، وَمَضَى يَتَطَلَّعُ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ الْمَكْسُورَةِ ،
وَشَاهَدَ آدِي يَتَحَدَّثُ إِلَى الرَّجُلِ الْخَفِيِّ .

وَتَسَاءَلَ كَيْمَبٌ : « لِمَ لَا يُطْلِقُ عَلَيْهِ النَّارَ ؟ » ثُمَّ رَأَى الْمُسَدَّسَ
يَتَحَرَّكُ فِي الْهَوَاءِ .

فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « هَذَا عَجِيبٌ ! لَقَدْ سَلَّمَهُ آدِي الْمُسَدَّسَ . »
وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ آدِي يَقُولُ : « عِذْنِي بِأَلَّا تَقْتَحِمَ الْبَابَ ،

وَأَمْنَحْنِي فُرْصَةً . »

« كُلُّ مَا عَلَيْكَ هُوَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَنْ أَعِدَّكَ بِشَيْءٍ . »

وَبَدَأَ أَنَّ آدِي قَرَّرَ فَجَاءَهُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . فَقَدِ اسْتَدَارَ عَائِدًا إِلَى الْبَيْتِ ، وَسَارَ بِخُطَى وَثِيْدَةٍ وَبَدَأَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . وَأَخَذَ كِمْبَ يُرَاقِبُهُ مِنَ النَّافِذَةِ . وَظَهَرَ الْمُسَدُّسُ ، كَجِسْمٍ صَغِيرٍ أَسْوَدَ ، يَتْبَعُ آدِي . وَعِنْدَئِذٍ تَتَابَعَتِ الْأَحْدَاثُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ : قَفَزَ آدِي صَوْبَ هَذَا الشَّيْءِ الصَّغِيرِ ، وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَهُ ، وَرَفَعَ ذِرَاعِيهِ إِلَى أَعْلَى ، وَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ . وَشَقَّتِ الْهَوَاءَ كُرَّةً صَغِيرَةً مِنَ الدُّخَانِ الْأَزْرَقِ ، وَلَكِنْ كِمْبَ لَمْ يَسْمَعْ دَوِيَّ الطَّلْقِ النَّارِيِّ . وَرَفَعَ آدِي جِسْمَهُ مُسْتَنِدًّا إِلَى ذِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَظَلَّ مَكَانَهُ سَاكِئًا .

وَلَبِثَ كِمْبَ فِتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ يَنْظُرُ إِلَى آدِي وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَى الْأَعْشَابِ فِي هُدُوءٍ . وَكَانَ الْجَوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَاكِئًا شَدِيدَ الْحَرَارَةِ ، وَلَا شَيْءَ فِيهِ يَتَحَرَّكُ ، وَآدِي رَاقِدٌ بِالْقُرْبِ مِنْ بَوَابَةِ الْحَدِيقَةِ . وَكَانَتِ السَّائِرُ مُسَدَّلَةً فِي جَمِيعِ الْبُيُوتِ الْقَائِمَةِ عَلَى سَفْحِ التَّلِّ ، وَلَئِنْ بَدَأَ فِي أَحَدِ الْبُيُوتِ الصَّيْفِيَّةِ الصَّغِيرَةِ شَبَحَ أَيْبُضُ ، لَاحَ أَنَّهُ لِشَيْخٍ نَائِمٍ . وَعَادَ كِمْبَ بِعَيْنَيْهِ إِلَى آدِي ، فَقَدْ بَدَأَتِ اللَّعْبَةُ بِدَايَةِ سَيِّئَةٍ !

وَعِنْدَيْهِ عِلَالَتَانِ الْجَرَسِ ، ثُمَّ طَرَقَ عَلَى الْبَابِ الْأَمَامِيِّ ، وَلَكِنْ
أَحَدًا لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَسَادَ السُّكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَبَقِيَ كِمْبُ جَالِسًا
يُضْغِي ، ثُمَّ رَاحَ يُنْعِمُ النَّظَرَ بِحَذَرٍ مِنَ التَّوَاغِثِ الثَّلَاثِ ، وَاحِدَةً بَعْدَ
الْأُخْرَى ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى السَّلَمِ . وَوَقَفَ يُضْغِي بِقَلْبٍ مُتَسَائِلًا عَمَّا يَفْعَلُهُ
عَدُوُّهُ .

وَفَجْأَةً سَمِعَ طَرَقَاتٍ شَدِيدَةً تَأْتِي مِنَ الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ، فَتَرَيْتَ
بُرْهَةً ، ثُمَّ هَبَطَ الدَّرَجَ مَرَّةً أُخْرَى . وَأَمْتَلَأَ الْبَيْتَ بِأَصْوَابِ خُبَّاطٍ
عَنيفَةٍ ، وَخَشَبٍ يَتَحَطَّمُ ، فَمَضَى إِلَى الْمَطْبِخِ لِيَتَبَيَّنَ مَا حَدَثَ ، فَوَجَدَ
بَلْطَةَ مُحْطَمَ الْبَابِ .

عَادَ كِمْبُ إِلَى السَّمَشَى ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ . فَلَنْ تَمْضِيَ
لِحَفَظَاتٍ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَدْ اقْتَحَمَ الْمَطْبِخَ ، لِأَنَّ هَذَا
الْبَابَ لَنْ يَصُدَّهُ لِحَفَظَةٌ عَنِ الدُّخُولِ .

وَدَقَّ جَرَسُ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَمِعَ كِمْبُ جَلْبَنَةً
أَصْوَابَ ، وَكَانَتْ لِشُرَاطِينٍ مَعَ الْخَادِمَةِ .

وَجَرَى كِمْبُ إِلَى الرَّدْمَةِ ، وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَتَسَاقَطَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ
دَاخِلَ الْبَيْتِ ، فَأَسْرَعَ كِمْبُ وَأَعْلَقَ الْبَابَ ثَانِيَةً وَصَاحَ : « الرَّجُلُ

الْخَفِيُّ ! إِنَّ مَعَهُ مُسَدَّسًا فِيهِ طَلْقَتَانِ . لَقَدْ قُتِلَ آدِي ، أَوْ عَلَى الْأَقْلُ
أُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارُ . أَلَمْ تَرَوْهُ مُلْقَى عَلَى الْأَغْصَابِ ؟

وَسَأَلَ أَحَدَ الشَّرْطِيِّينَ : « مَنْ ؟ »

أَجَابَ كِمْبُ : « آدِي . »

قَالَتِ الْخَادِمَةُ : « لَقَدْ جِئْنَا مِنْ خَلْفِ الْبَيْتِ . »

وَسَأَلَ الشَّرْطِيُّ الْآخَرَ : « مَا هَذِهِ الْخَبَطَاتُ ؟ »

« لَعَلَّهُ فِي الْمَطْبَخِ ، أَوْ سَيَدْخُلُهُ ، فَقَدْ عَثَرَ عَلَى بَلْطَةٍ . »

وَفَجْأَةً أَمْتَلَأَ الْبَيْتُ بِخَبَطَاتِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ وَهُوَ يُحْطَمُ بَابَ
الْمَطْبَخِ . وَتَطَلَّعَتِ الْخَادِمَةُ إِلَى الْمَطْبَخِ ، ثُمَّ هُرِعَتْ إِلَى حُجْرَةِ
الطَّعَامِ ، وَحَاوَلَتْ كِمْبُ أَنْ يَشْرَحَ الْمَوْقِفَ بِعِبَارَاتٍ مُتَقَطَّعَةٍ ؛ ثُمَّ
سَمِعُوا بَابَ الْمَطْبَخِ وَهُوَ يَنْفَتِحُ .

وَصَاحَ كِمْبُ : « مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ . » وَدَفَعَ الشَّرْطِيُّينَ نَاحِيَةَ
مَدْخَلِ حُجْرَةِ الطَّعَامِ ، وَأَنْدَفَعَ هُوَ نَاحِيَةَ الْمِدْفَأَةِ قَائِلًا : « قَضَيْتُ
تَقْلِيلَ النَّارِ ! »

وَأَعْطَى كُلَّ شَرْطِيٍّ قَضِيًّا ، ثُمَّ قَفَزَ فَجْأَةً إِلَى الْخَلْفِ . وَصَاحَ أَحَدُ

الشَّرْطِيَّيْنِ : « حَذَارِ ! » وَوَتَّبَ جَانِبًا ، وَتَلَقَّى ضَرْبَةَ الْبَلْطَةِ عَلَى الْقَضِيبِ ! وَدَوَى طَلْقُ نَارِيٍّ مُخْدِنًا ثَقْبًا فِي إِحْدَى اللَّوْحَاتِ . أَمَّا الشَّرْطِيُّ الثَّانِي فَهَوَى بِالْقَضِيبِ فَوْقَ الْمُسَدَّسِ ، فَأَسْقَطَهُ عَلَى الْأَرْضِ .

وَعَادَتِ الْبَلْطَةُ إِلَى الْمَمْشَى ، وَكَانُوا يَسْمَعُونَ أَنْفَاسَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ الْلَاهِئَةِ . وَجَاءَهُمْ صَوْتُهُ يَقُولُ : « ابْتَعدَا أَيُّهَا الشَّرْطِيَّانِ . إِنَّ مَنْ أُرِيدُهُ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ كِمَب . »

قَالَ الشَّرْطِيُّ الْأَوَّلُ : « وَنَحْنُ نُرِيدُكَ أَنْتَ . » وَوَتَّبَ وَثْبَةً سَرِيعَةً إِلَى الْأَمَامِ وَهَوَى بِالْقَضِيبِ فِي أَنْجَاءِ الصُّوتِ . وَيَتَدَوَّنُ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ تَرَجَّعَ إِلَى الْخَلْفِ ، وَسَقَطَ عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ .

وَلَمَّا تَبِعَهُ الشَّرْطِيُّ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَضَرَبَهُ فَطَرَحَهُ أَرْضًا .

وَلَكِنَّ الشَّرْطِيَّ الثَّانِيَّ وَجَّهَ ضَرْبَةً بِقَضِيبٍ تَقْلِبِ النَّارِ خَلْفَ الْبَلْطَةِ فَأَصَابَ شَيْئًا لَيْنًا سَمِعَتْ لَهُ طَقْطَقَةً أَعْقَبَتْهَا صُرْخَةٌ أَلَمٍ حَادَّةٌ . وَسَقَطَتِ الْبَلْطَةُ عَلَى الْأَرْضِ . وَوَجَّهَ الشَّرْطِيُّ فِي الْفَرَاغِ ضَرْبَةً أُخْرَى لَمْ تُصِبْ شَيْئًا ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ الْبَلْطَةِ ، وَوَجَّهَ ضَرْبَةً جَدِيدَةً . ثُمَّ وَقَفَ وَهُوَ مُنْمَسِكٌ بِالْقَضِيبِ ، وَأَرْهَفَ السَّمْعَ إِلَى أَيَّةِ حَرَكَةٍ .

وَسَمِعَ نَافِذَةً تُفْتَحُ ، وَوَقَعَ أَقْدَامُ مُسْرِعَةٍ فِي الْخَارِجِ . وَاعْتَدَلَ
 زَمِيلُهُ وَجَلَسَ وَالْدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ جُرْحٍ فِي صُدْغِهِ ، وَتَسَاءَلَ : « أَيْنَ هُوَ ؟ »
 أَجَابَهُ : « لَا أَدرِي ، وَلَكِنِّي أَصَبْتُهُ . وَهُوَ واقِفٌ فِي مَكَانٍ مَا فِي
 الرَّدْهَةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ مَرَّ بِكَ . دُكْتُورُ كِمْب ، أَيْنَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي ؟ »

وَصَاحَ ثَانِيَةً : « دُكْتُورُ كِمْب ! »

وَجَاهَدَ الشَّرْطِيُّ الثَّانِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ . وَفَجْأَةً سَمِعَ
 الشَّرْطِيَّانِ وَقَعَ قَدَمَيْنِ حَافِيَتَيْنِ ، فَصَرَخَ الشَّرْطِيُّ الْأَوَّلُ وَأَلْقَى بِقَضِيبِ
 ثَقْلَيْهِ النَّارِ . وَهَمَّ بِتَعْقُبِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ ، وَلَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ ،
 وَدَخَلَ حُجْرَةَ الطَّعَامِ وَصَاحَ : « دُكْتُورُ كِمْب ... »

وَكَانَتْ نَافِذَةُ حُجْرَةِ الطَّعَامِ مَفْتُوحَةً ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهَا الْخَادِمَةُ
 وَلَا كِمْب .

الفصل الثالث والعشرون

اقتناص الصياد

انطلق كيمب يجري لينجُو بحياته ، مثلما رأى من قبل السيد مارفل
يجري هابطاً التل . ولم يبد له الجري في يوم من الأيام أبطاً مما بدا
له آنذاك .

وأخذ الناس ينظرون إليه ، ورأوا في وجهه أمارات الذعر والفرع .
كان مندفعاً صوب القرية عند سفح التل حيث يقف الناس أو
يمشون في جماعات .

ونمهل في سيره قليلاً ، فسمع وقع خطوات سريعة وراءه ، فصاح :
« الرجل الخفي ! » وخطر له أن يذهب إلى مركز الشرطة ، بيد أنه غير
رأيه ، ودخل شارعاً جانبياً ، ثم فناء أحد البيوت ، ثم بيتاً صغيراً ،
وعاد بذلك إلى الطريق العام .

واحتشد جمع من الناس ، وكان ثمة وقع أقدام تجري . وعلى

قَيْدٍ بِضَعَةٍ أَمْتَارٍ شَوْهَدَ رَجُلٌ ضَخْمُ الْجِسْمِ يُطْرَحُ فِي أَلْهَوَاءٍ مِجْرَفَةٍ
ثَقِيلَةٍ ، وَيَضْرِبُ بِهَا شَيْئًا مَا . وَخَرَجَ آخَرُ مِنْ مَتَجَرٍّ وَيَدِيهِ عَصَا غَلِيظَةٌ .
وَصَاحَ رَجُلٌ : « اِنْتَشِرُوا ! اِنْتَشِرُوا ! » وَتَوَقَّفَ كِمْبٌ وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ وَهُوَ
يَلْهَثُ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ هُنَا ! شَكِّلُوا صَفًّا بِعَرَضٍ . . . »
وَتَلَقَّى ضَرْبَةً عَنِيفَةً وَرَاءَ أُذُنِهِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِيُوَاجِهَ عَدُوَّهُ
الْخَفِيِّ ، وَسَدَّدَ ضَرْبَةً فِي أَلْهَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ تَلَقَّى لَكْمَةً أُخْرَى تَحْتَ فَكِّهِ ؛
فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ انْغَرَزَتْ رُكْبَةٌ فِي صَدْرِهِ ،
وَأَطْبَقَتْ يَدَانِ عَلَى عُنُقِهِ ، وَلَكِنْ إِحْدَى الْيَدَيْنِ كَانَتْ أَضْعَفَ مِنَ
الْأُخْرَى . وَعِنْدَئِذٍ هَوَتْ مِجْرَفَةُ الرَّجُلِ الضَّخْمِ مِنْ قُوَّتِهِ بِقَلِيلٍ ،
وَأَرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ مَا . وَشَعَرَ بِقَطْرَاتٍ مِنَ الدَّمِ الدَّافِقِ تَسْقِطُ عَلَى وَجْهِهِ ،
وَتَرَاحَتِ الْيَدَانِ الْمُطْبِقَتَانِ عَلَى عُنُقِهِ ؛ فَانْقَلَبَ كِمْبٌ وَجْهًا فَوْقَ عَدُوِّهِ
وَصَاحَ : « أَمْسَكْتُهُ ! أَمْسَكْتُهُ ! النُّجْدَةُ ! النُّجْدَةُ ! أَمْسِكُوهُ ! أَمْسِكُوا
قَدَمَيْهِ ! »

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ أَقْتَحَمَ الْمَعْرَكَةُ حَشْدٌ مِنَ النَّاسِ . وَلَمْ يَكُنْ
نَمَّةً صِيَاحٌ بَعْدَ صِيَاحِ كِمْبٍ ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ يُسْمَعُ هُوَ صَوْتُ ضَرْبَاتِ
تَسَدُّدٍ ، وَوَقَعَ أَقْدَامٌ تَتَحَرَّكُ ، وَأَنْفَاسٌ تَلْهَثُ .

ثُمَّ هَبَّ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَاقْفًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَكَانَ كِمْبٌ مُتَشَبِّهًُا
بِسَاقِيهِ ، وَعِنْدَيْهِ قَبْضٌ شَخْصٌ مَا عَلَى عُنُقِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ ، وَجَذَبَهُ
إِلَى الْخَلْفِ . وَوَقَعَ الرِّجَالُ الْمُتَقَاتِلُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَتَرَاكِلُونَ ،
وَعِنْدَيْهِ أَنْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حَادَّةٌ ، ثُمَّ خَيَّمَ السُّكُونُ .

صَاحَ كِمْبٌ : « إِنْتَعِدُوا ! لَقَدْ أُصِيبَ ! إِنَّهُ جَرِيحٌ ! أَفْسِحُوا
الْمَكَانَ ! » وَأَخَذَ طَبِيبٌ يَتَحَسَّسُ الْجِسْمَ الْخَفِيَّ ، ثُمَّ قَالَ : « الْقَمُ كُلُّهُ
مُبْتَلٌ . »

وَنَهَضَ وَاقْفًا عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ بِجَانِبِ الشَّيْءِ الَّذِي
لَا يُرَى . وَأَقْبَلَ جَمْعٌ جَدِيدٌ مِنَ النَّاسِ لِيَزِيدُوا الْحَشْدَ الْمُتَدَافِعَ ،
وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرُونَ خَرَجُوا مِنَ الْبُيُوتِ . وَكَانَتْ أَبْوَابُ الْفُنْدُقِ
مَفْتُوحَةً عَنْ آخِرِهَا ، وَكَانَ الصُّمْتُ سَائِدًا .

وَمَدَّ كِمْبٌ يَدَهُ يَتَحَسَّسُ الْفَرَاغَ حَوْلَهُ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَتَنَفَّسُ .
إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْمَسَ قَلْبَهُ . هَذَا جَنْبُهُ .. آه ! »
وَصَرَخَتْ أَمْرَأَةٌ عَجُوزٌ ، كَانَتْ تَنْظُرُ مِنْ تَحْتِ ذِرَاعِ الرَّجُلِ
الضُّخْمِ ، صَاحِبِ الْمِجْرَفَةِ ، قَائِلَةً بِصَوْتٍ حَادٍّ : « أَنْظُرُوا ! »
وَتَنَظَّلُوا إِلَى حَيْثُ أَشَارَتْ ، وَرَأَوْا جَمِيعًا جِسْمًا ضَبَائِلًا أَشْبَهَ

بِالْطَّنْفِ . وَ اسْتَطَاعُوا فِي الْبِدَايَةِ أَنْ يَخْتَرِقُوا هَذَا الْجِسْمَ بِأَبْصَارِهِمْ ،
وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَتَحَوَّلُ بِالتَّدْرِيجِ إِلَى جِسْمٍ أَكْثَرَ صَلَابَةً وَ سُمْكًا .

وَصَاحَ الشَّرْطِيُّ : « هَا هُمَا قَدَمَاهُ تَبِينَانِ ! »

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ هَذَا التَّغْيِيرُ الْعَجِيبُ بِطُءٍ ، مُبْتَدِئًا بِظُهُورِ الْيَدَيْنِ ثُمَّ
الْقَدَمَيْنِ ، وَظَهَرَتْ سَاقَاهُ حَتَّى مُتَنَصِّفِ جِسْمِهِ . وَ كَانَ يُشْبِهُ الْإِنْتِشَارَ
الْبَطِيءَ لِلْسُّمِّ . وَرَأَوْا صُورَةً بَاهِتَةً لِأَحَدِ أَطْرَافِهِ ، ثُمَّ عِظَامَةً الزُّجَاجِيَّةَ
الْلُّونَ ، وَبَعْدَهَا لَحْمَةً وَجِلْدَهُ ، وَقَدْ ظَهَرَ جَسَدُهُ فِي شَكْلِ ضَبَابِيٍّ
أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَزْدَادُ بِطُءٍ سُمْكًا وَصَلَابَةً . وَسُرْعَانَ مَا
اسْتَطَاعُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَرَوْا صَدْرَهُ وَكَتِفَيْهِ وَشَكْلَ وَجْهِهِ غَيْرَ الْوَاضِحِ .

وَعِنْدَمَا أَفْسَحَ الْجَمْعُ الْمُحْتَشِدُ الْمَكَانَ لِكُمْبٍ لِيَقِفَ ،
شَاهَدُوا عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَهُمْ جُثَّةً عَارِيَةً مُهَشَّمَةً لِشَابٍّ فِي نَحْوِ الثَّلَاثِينَ
مِنْ عُمُرِهِ . وَكَانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَشْيَبَ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِ ،
وَلَكِنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ . وَكَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ تَبْرَقَانِ مِثْلَ جَوْهَرَتَيْنِ ،
وَتَكَسَوَ وَجْهُهُ مَلَامِيحُ الْغَضَبِ وَالْخَوْفِ .

وَصَاحَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الْوَاقِفِينَ : « غَطُّوا وَجْهَهُ ! يَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ غَطُّوا
هَذَا الْوَجْهَ ! » وَأَتَى أَحَدُهُمْ بِمِلَاعَةٍ ، وَغَطَّوْهُ بِهَا ، ثُمَّ نَقَلُوهُ إِلَى دَاخِلِ

الْفُنْدُقِ . وَهُنَاكَ ، فَوْقَ فِرَاشٍ فِي حُجْرَةٍ قَلِيلَةٍ الْإِضَاءَةِ ، وَبَيْنَ حَشْدٍ
مِنَ النَّاسِ الْمُهْتَاجِينَ ، أَنهى غريفيين ، أَوَّلَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ بَنِي
الْبَشَرِ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ خَفِيًّا - أَنهى حَيَاتَهُ الْعَجَبِيَّةَ وَالرَّهَبِيَّةَ .



الروايات المشهورة

- ١ — جين إير
- ٢ — فرانكنشتاين
- ٣ — مونفليت
- ٤ — دراكولا
- ٥ — لورنادون
- ٦ — دكتور جيكل ومستر هايد
- ٧ — شي الملكة الأسطورة
- ٨ — كونت مونت كريستو
- ٩ — الرجل الخفي
- ١٠ — الزمن العصيب

Bibliotheca Alexandrina



1099789